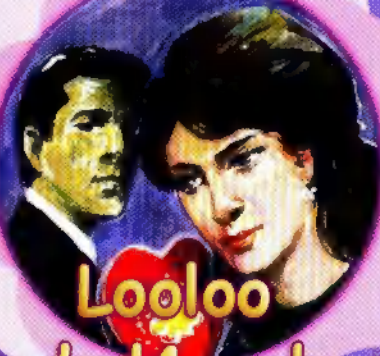


روايات مصرية الجيد

زهور

97

انقر باقلب



Looloo

www.dvd4arab.com



هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تحفّ مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحب .. الحب الذي يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين
مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الأبن ..
حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..
هذه الكلمة السحرية التي تذيب أحجار القلوب .. وتنبث
الزهور النائمة في صخور المشاعر الصلدة ..
إنها الزهور التي ينشدها كل منا في لحظات اليأس .. وفي
لحظات الغضب .. وفي لحظات الكراهية .. وفي لحظات
الجفاف .. فتشيع عبرها الخواخ في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى
قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .
إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبإتعاذه عن
الأثنية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شيء خلقه الله في هذا
الوجود !!

وفي هذا الزمن الذي طفت فيه الأنطام المادية والأثنية
الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا
النوع من الحب .. نحتاج زهور نستشقى عبرها ، نتحرك
مشاعرنا ، وترقى عواطفنا ..

وفي كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل من زهرة
إلى زهرة .. في بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة
الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١- العودة ..

وقف (يوسف) متردداً في الدخول ، أمام الحجر التي
تحوى مكتب (ولام) .. أحكم قبضته على الحقيبة الصغيرة
التي يحملها ، وكأنها على وشك الهرب منه ..

فكر في أن يعود من حيث أتى وحرك قدميه في قلق .. في
التهاية صم ترده ، واخل مفكراً ، في أنه لا شيء لديه ليضمره ،
سوى الأمل الضعيف الواهن ، الذي يداعبه من وقت لآخر .

أما إذا نجح في مهمته ، فإن لديه الكثير ليربحه ..

استقرت عينا (يوسف) على (ولام) تراقبها ، وهو يتقدم
بخطوات قصيرة ثابتة - برغم ارتجاف قلبه - نحو مكتبها ..

وقف أمام المكتب منتظراً أن تلحظه ، لكنها لم تشعر به ،
كانت منهمكة كلياً في عملها ..

لقد أن يقف لفترة أطول ليشتع عينيه منها ، لكن قلبه ألمه ..

لم يتحمل عذاب كرها له ..

لم تعد تريده ..

إنها لم تعد له ..

رفع الحقيقة التي يحملها ، ووضعها أمامها على المكتب ،
انتبهت (ولام) في هذه اللحظة ، ونقلت عينيها في بضع من
الحقيقة إليه ، وهي مندهشة ..

حملت عيناها إليه لحاسيس شتى زلت من ارتبكها للدخلى .
خفض (يوسف) بصره ، وأسرع بالكلام قبل أن تخونه شجاعته :

- تفضلى ..

أشار لحقيقة تركها من يده على المكتب ، وقال :

- هكذا يكون حقك وصل إليك ..

رفع عينيه ليختطف نظرة إليها قللاً :

- وأكون أنا قد أرضيت ضميرى ..

قال كلماته واستدار مغادراً ، محاولاً أن يكون هذا بأكبر
هدوء ممكن .. تمالكت (ولام) نفسها من الصدمة .. وأخذت
شبهقاً قوياً رداً على إحساسها بأنها لم تتنفس منذ لحظة
دخوله .. وقامت تناديه :

- انتظر ..

لم يستدر ، واستمر في طريقه ..

***** ٦ *****

برغم أنه أراد أن يقف ..

ويستدير ..

ويرد عليها ..

يكلمها ويسمعها ..

لكنه لم يستطع ، مضى وكفه لم يسمعها ، شعر أنه لن
يحمل النظر إليها مرة أخرى .

حملت (ولام) الحقيقة ، وذهبت خلفه مهرولة لتلتحق بخطواته
الواسعة دون أن يعيها إن كان لم يسمعها فعلاً أو أنه
يتجاهلها في بساطة .. لم تتوقف لتفكر ..

لم يكن قد ابتعد كثيراً ، وبمجرد أن اقتربت منه وضعت يدها
على كتفه تستوقفه .. لم يكن لديها استعداد لنطق اسمه ..

(يوسف) الذى لم يسمع وقع خطواتها خلفه من كثرة
تشغله بالفرار ، كان يعطم جيذاً ملمس هذه الكف التي بلاكاد
لامست كتفه ..

لم يجد بدا من مواجهتها فاستدار إليها ..

نظر إليها .. ونظرت إليه .

***** ٧ *****

كانت نظراته تقول الكثير .. ولم ترغب هي في الدخول
مع عينيه في حديث بغير طائل لها .. فركزت بصرها على
الحقيقية بيديها وسألته :

- ما هذه الحقيقية ؟؟

- إن بها حقا .

رفعت إليه نظرة فارغة ، فأخذ الحقيقية من يدها وفتحها
ليريها ما بها .. كان بداخلها حزمٌ نقدية قليلة لكنها من فئة
كبيرة ولكنها قالت :

- يا إلهي !!

فزعت (ولام) ، واستندت إلى الحائط ، ثم ألقت لنفسها
وأسرعت تخطف منه الحقيقية وتطلقها وهي تتلفت حولها ،
داعية الله ألا يكون أحد قد رأى ما حدث :

- هل جنت ؟؟

قالت بصوت غير مرتفع لكن شديد الغضب ..

تأملها مندهشاً من رد فعلها العصبى للمبالغ فيه ولم يرد ..

نظرت له في نفاذ صبر ، وهي تمد يدها له بالحقيقية
نادمة على أنها أخذتها من يديه :

***** ٨ *****

- خذها واذهب .

صرفته دون أن يهتم بأصول اللياقة ، ثم يسمح لطريقتها
في الكلام بئسائه ، وقال :

- لا .

قلها ببساطة .. لكن بتصميم واضح .. أشار إلى الحقيقية
في يديها وأكمل في هدوء :

- الحقيقة معك .. وهذا مكانها الصحيح ..

نظر في ساعته ، وقال :

- أستاذك لأن لدى موعد مهم .

استدار ذاهباً فأسرعت تستوقفه :

- انتظر .. إما أن تأخذ الحقيقية ، أو

سكنت تفكر واستدار هو لها متسللاً عن كنه الخيال الذي
ستعرضه عليه .. أو التهديد الذي ستلقيه في وجهه :

- .. أو لتفترني لتذهب وتحدث في مكان آخر غير هنا .

***** ٩ *****

قالت العرض ، وكأنها قد تسحب مرة أخرى ، أراد إبداء موافقته على الفور ، وكادت أن ترسم على شفيتها ابتسامة ، لكن ما قالته بعد ذلك بسخرية لاذعة منع الابتسامة قبل أن تظهر :

- دعك من موضوع الموعد المهم الذى تدعيه .

قست نظراته .. كانت تتهمه بالكذب ولم يكن هذا جديدًا منها لكن هذا لا يمنع من أن كلامها آلمه ، فقال :

- لدى موعد بالفعل .. لكنى مستعد لتأجيله إذا كنت على استعداد لمقابلتي والكلام معي .. لقد أتيت وقصرفت مسرعًا كى لا أنقل عليك بوجودى .

ابتسم ساخرًا ، وهو يكمل :

- خاصة وقد أفهمتنى بأوضح ما يمكن آخر مرة أنك لا تريدن رؤيتى مرة ثانية .

لم تعجبها السخرية فى كلامه ، وكأنه يلمح إلى أنها غيرت رأيها ، فسارعت تنفى هذا خاطر من ذهنه ، قفلة :

***** ١ *****

- أنا لم أقل إلى أريد مقابلتك .. لكنك مصمم على ترك هذه الحقيقة لى ، فكل شيء هو أن نتكلم .

فهم (يوسف) الرسالة التى أرادت إبلاغها له ، فقال :

- لا تخافى .. فلما لم أخطئ ، واعتقد أنك أردت رؤيتى .

أخذ الحقيقة منها ورفع سبيلته ، وهو يقول مهددًا :

- لكن إذا لم تأت ساعود ، وأتركها على مكتبك .

لم يكن من حقه أن يهددها بأى شيء ، أو يملئ عليها لولم لكن حضوره صمها ، وجطها غير قلرة على لستجماع فكلمها .

حقق (يوسف) بها ليرى رد فعلها على كلمته ، ولما أيقن أنها استوعبت تهديده ، أكمل قائلاً :

- سأذهب إلى الكافيتريا القريبة .. أعقد أنك تعرفين مكتبها .

نظرت إليه متألعة من اختياره لهذا المكان بالذات ..

بالتأكيد كانت تعرفها وتعرفها جيدًا أيضًا ..

***** ١ *****

كم مرة التقت به فيها .

كم من الأحلام شهدت عليه ..

أومأت له في بطمه ، وتركته لتستأذن في الانصراف من العمل ، وذهب هو ليجري مكالمة تليفونية ؛ ليؤجل الموعد الذي لم يكن على أى قدر من الأهمية الآن ..

ليس أهم من رؤيته لها ، والحديث معها ، على كُسل الأحوال .

إن إحضاره للنقود لم يكن إلا حجة لرؤيتها ..

نعم .. أراد توصيل النقود لها ، لكن هناك أكثر من طريقة ليفعل ذلك ، دون أن يقابلها لو أنه يريد ..

لكنه كان يتمنى أن يعود ، يملأ عينيه منها ..

يسمع صوتها وهي تتحدث معه للحظات ، ولو بالتخفيف ..

كان هذا أقصى ما يتمناه ، لكنه نال أكثر مما تمنى ،
فها هي تريد لقاءه وأيا كان المبرر الذى دفعها لهذا
الطلب ، فقد كفاه قبولها للقاءه .

***** ١٢ *****

تمتد (يوسف) ألا يختار مائلتيهما المعتادة ، واختار
أخرى فى مواجهتها ، جلس ينتظرها .. عندما دخلت راقب
عينيهما وهي تتجه لمائلتيهما المعتادة ، ورأى فيها ومضة
لم مرّت سريعاً حتى إنه شك فى حدوثها ..

دارت بعينها تبحث عنه ، فوجدته بسهولة فى القاعة
شبه الخاوية من الناس .. تأملها وهي قائمة نحوه .. لم
تتغير كثيراً ، لم تتغير أبداً ، ففكر ثم تراجع ما عدا أشياء
قليلة .. ربما بدت كامرأة عميلة ..

لو ربما بدت أكبر سناً وأكثر تجربة .. كان هناك جدية
فى هينتها لم تكن موجودة فى الماضى .. فى الماضى
تتهذ وهو يكرر الكلمة فى صلة .. هكذا أصبح الحديث
عنها ..

حديث عن الماضى والذكريات ..

شعر بالأم فى صدره وهو يتذكر كيف كانت ، كانت كزهرة
ربيعية متفتحة تنشر أريجها فى كل مكان ..

***** ١٣ *****

البسمة لا تفارق شفقتها ، حتى ملبسها كانت ذات ألوان
زاهية جميلة ..

للنظر إليها في حد ذاته كان بهجة لا تُقابلة بهجة .

سرح في التفكير وتلهّد متحسراً .. بمجرد أن وصلت (ولم)
إلى المائدة التي يجلس عليها .. أسندت كفها عليها قلقة :

- ماذا تقصد بما فطت .. هل تريد تعريضى لتهمة تقبضى
رشوة ؟

ابتسم رغماً عنه من أفعالها ، وقال :

- اجنسى من فضلك ولخضى صوتك .. فلو أن هذا ما بخلوك
فلا داعى لإسماع كافة الموجودين نى بصدد إعطالك رشوة .

التفتت حولها ، لم يكن هناك رؤفاً كثيرين بالمكان ، ومع
ذلك جلست ، خفضت صوتها ، وهى تعيد كلامه دون أن تصلى
أذنيها :

- أنت بصدد إعطائى رشوة ؟؟؟؟

- هذا ما تقولينه أنت .

أجابها متعجباً من أن يخطر ببالها هذا الأمر .. ثم منذ
متى وطبيعة عملها تحتمل أخذ رشوة ؟ فتماعل :

***** ١٤ *****

- لم يتم رشوتك بالله عليك ؟

فهى - إذا لم تخفه ذلكرته - تصل موظفة بشئون العاملين
بإحدى الشركات الخاصة ، ولم يكن هناك أى سبب يخطر
فى ذهنه ليتم عرض رشوة عليها ..

سأد صمت لدقيقتين قبل أن ترد ، قلقة :

- لا يوجد عمل يخلو من قرشوة الآن .. كان شكك ملفاً
جداً ، وأنت تدخل وتترك الحقيبة على مكتبى .

شعر أن حديثها غريب .. نظر إليها مبتسماً من كلامها
ولم يستطع مقاومة أن يسألها :

- ملفت لمن ؟

ارتبكت قليلاً ، وقالت :

- لزمائى طبعاً .

تذكر ما حدث بوضوح .. كان كل من زملائها الثلاثة
الذين يشاركونها حجرة المكتب مشغولين فى شىء ما ، ولم
ينقته لياً منهم له .. ولكنه أدرك عقم المجادلة فى الأمر مع
إصرارها عليه ، فتمتم رغماً عنه :

- لا بأس .

***** ١٥ *****

رفع الحقيية ، واكمل :

- خذها الآن .. لا احد من زملائك هنا .

نظرت (ولام) إلى الحقيية ، وكان بها مرضاً معنياً ، أو كئيباً
حيوان سينقض عليها ويفتك بها في أية لحظة ..

شعر بالضيق من رد فعلها ، وقال :

- ماذا بك ؟ هذا حقا .. وأنت تعرفين ذلك ..

سكت للحظة .. ثم اكمل متمهلاً وهو يركز نظره عليها .

- لو ما زالت تذكرين شيئاً عنا ولم تمحي كل شيء من
ذاكرتك ..

بادلته للنظرات ، كان يكرر كلامها : سامحو كل شيء عنا
من ذاكرتي .. كان هذا نص كلامها .. وتذكرته بدقة ..

عندما قالت له هذا ، كان رده أنها لن تستطيع .. ولكنها
عادت ، وأكدت له أنها ستفعل وبكل بساطة ..

في الحقيقة لم تستطع ، تمتت من كل قلبها أن تكون هذه
الكلمات قد تحققت ، لكنها لن تعترف بهذا له الآن .. تجاهلت
كلامه ، وسألته متصنعة عدم تذكر أي شيء :

- أي نفود تلك ؟ وأي حق ؟؟

- نفودك .. نصيبك من شركتنا .

- أنت تعرف أنه لم يكن هناك ثمة شركة ..

نظر لها مستكراً كلامها ، فعادت تؤكد كلامها :

- نعم لم تكن شركة .

علت صوتها نبرة حزينة وامتلأت عيناها حزناً .. كانت
تتذكر جيداً هذه النفود ، ومعظمها كان ثمن الشقة .

شقيتهما .. والتي كانت من الأصل من ماله هو ..

جاء يستشيرها - بل يطلب قرارها كما قل - وقتها - هل يقوم
ببيع الشقة ويؤجل الزفاف ، ويقوم بإنشاء مشروع ، ثم يعود
شراء شقة أفضل ، وتكون دفعة الفضل لمستقبليهما معاً ..

لم يتزوجان بمجرد أن يتما للتجهيزات بإمكانية البسيطة .

ترك لها الخيار ..

ماذا كانت ستقول له ؟؟؟

حتى مجرد طريقة نطقه للخيارين ، واضح فيها ماذا يفضل هو ...

شجعتة على بيع الشقة ، ليس لأنها لم تكن راضية
بإمكانية ، بل كفت أكثر من راضية ومقتنعة ، وأخبرته بذلك ،
لكنها أرادت أن يجد فرصة أحسن .. أحسنت وقتها أن هذا
ما يريد هو ، فلم ترغب في تقييده ..

كما أنها كانت مؤمنة به ، وبقدراته .

وأفكاره ..

وعزيمته ..

شجعته (ونلم) ، بل أعطته مذكراتها البسيطة التي كتبت تنوى
المساعدة بها في تأليف الشقة ، عاشت أيام البحث الجاد ..

صبرته ..

خففت عنه ..

انتشلتته من إحباطه ..

أعطته كل الدعم المعنوي الذي يحتاج إليه ، ومشت معه
خطوة خطوة .

كاد أن يتراجع مرّات ، ويترك اليأس يهزمه ، لكنها لم
تسمح له ..

دفعته ..

حمسته ..

أخبرته أنها على استعداد لأن تصبر حتى يحاول مرة
والثنتين وثلاثاً .. حتى يستنفد كل المحاولات ..

كانت على استعداد لأن تحارب العالم ، كي لا ترى اليأس
والهزيمة في عينيه .

***** ١٨ *****

آو .. وألف آو من عينيه التي كانت تشرق وهي تخبره
بإستعدادها للانتظار ، وبإيمانها به .

.. وعاد يخبرها أن مذكراتها وثمان الشقة لم يكفيا ..
ليس للمشروع الذي يحلم به .. أو على الأقل ليس في
القاهرة ، وقال :

- المستقبل للمباحة .. سأذهب إلى الغرقة .. وأنت تعرفين
أنى عملت بها فترة الإجازة الصيفية طوال سنّى الدراسة
في الكلية .

استطردت قائلة :

- على بركة الله .. اذهب .

ترننت كلمة اذهب في عقلها ، مع الندم على أنها قالتها ..
على تشجيعها له على الذهاب .. لكنها لم تكن تعرف
ما سيحدث ..

لم تتخيله للحظة .. وأن ما أراده سيكون سبب انفصالهما ..
كانت قد شعرت من قبل بإحساس الندم هذا ، لكنها طردته من
فترة ، وأخبرت نفسها أنها اكتشفتها على حقيقته ، وهذا
الفضل من أن يتم الزواج ثم يخونها .

سرحت مع أفكارها في الماضي .. وكان هو سارح فيها ..

فيما هي عليه الآن ..

***** ١٩ *****

فيما فعلته السنة والنصف أو السنتان الماضيتان بها ..

كانت يدها خالية من دبله الخطبة ، بل كانت خالية تماماً
من أى حلية تزيينها ، ووجهها مطلقاً ، كذلك نظرة عينيها ..
الفتقدت البريق المعتاد لهما والحماسة ..

والابتسامة ، تلك التي لم تكن تفارق شفثيها كلما نظرت
إليه ..

طوال الوقت الذي حدثها فيه لم يرها تتبسم ولو ابتسامة
صغيرة ، ولو مجاملة للساقى أو لزملائها ، أو لنفسها ..

آلمه هذا أيما إيلام .

عرف من البداية أن هذا اللقاء سيكون مكلفه غالباً .. وسيلتج
جروحاً ، لن تغلق وإن كانت قد هدأت قليلاً ..

تكلم في النهاية :

.. بل كانت شرقة ..

.. لم تكن ثمة أوراق ..

.. أية أوراق تلك التي تتكلمين عنها ؟ لقد كانت كلمتى
لك وكلمتك لى .

***** ٢٠ *****

« ليته لم يقل هذا » .. هذا ما تمنّته هى ، وما تمنّاه كذلك
هو الآخر بمجرد أن رأى نظرتها له .

نظرات لم يعرف كيف يصفها ، وكأنها حماسة مذبوحة ،
تعانى خروج الروح .

خرجت الكلمات من فمها بصعوبة ، وهى ترد عليه بعد
لحظة صمت :

.. كلمة شرف .. أليس كذلك ؟

لم يكن هناك تأنيب فى صوتها .. كما حدث من قبل .. هى
لا تؤنبه الآن ، ولكن صوتها الجريح أظهر مقدار عذابها ..

ابتسمت بمرارة ورفعت نظراتها إلى عينيهِ ..

تشابكت نظراتهما لحظة ..

لم يتحمل ..

حول عينيهِ متألماً ..

أغلقهما ، وضغط على أسنانه ..

كل من يعرف أن هذا سيكون ثمن لقاؤه بها من قبل أن يلتقى ،
وأنى وهو على أتم استعداد لدفعه .. وأكثر منه فقط لو أذى
ذلك فى النهاية لعودتها إليه ..

***** ٢١ *****

عاد يتجاهل ما قالت ، وسألتها :

- إذا لم يكن ما بيننا شركة .. فماذا كان ؟

كانت جملة « أخبرني أنت » على شفيتها ، لكنها منعتها من الخروج .. أرادت أن تنهى اللقاء دون أن تعود للتقلب في أوراق الماضي ، وقالت :

- المبلغ الذي أعطيتك لك - لو أن هذا ما تقصده - كان مبلغاً صغيراً ، ولم أكن أتوقع رده اعتبره ..

رفعت كتفها وهي تفكر « نعم لم أكن أتوقع رده ، نقود كانت تحلم أن تدخل في تأسيس بيتهما » .

أكملت كلامها بلا مبالاة :

- اعتبره هبة .. هدية .. اعتبره أى شيء يرضيك .. أنا لا أريده .

- المبلغ الصغير كبير .. كانت شركة ، على الربح والخسارة .. ولا يعقل أن تتحمل الخسارة دون أن تجنى الأرباح .

فكرت بمرارة ، لا يعقل أن يحدث هذا ؟؟ إذا لم يكن قد حدث ؟؟ نعم لم يكن من العقل في شيء .. لكنه حدث ..

تحملت الخسارة ، كل الخسارة .. وهل بعد خسارتها له شيء ؟؟

هل يظن أن حفنة المال التي أتى بها مستعوضها ؟؟ عن ماذا أم ماذا ؟

هناك الكثير مما فقدته .

سنى الخطبة .

حبها له ..

أحلامها معه ..

أحلامها به ..

ثقتها به ..

بل ثقتها في الدنيا كلها .

وحتى ثقتها في نفسها .

نفسيتها التي نمت .

كلام الناس المقربين قبل غيرهم .

الجرح التي شعرت به ..

جرح كرامتها ، ومن قبله جرح قلبها .

لم يكن باستطاعتها أن تحصي .. بدأت الدموع تتجمع في

عينها دون أن تشعر ، لكنه هو رآها ، لاحظ أول بولدرها ..
وقرر أن يفعل شيئاً ما ، عرف أنها لن تظفر لنفسها بالبكاء
أمامه ، وعرف أن دموعها ستمزقه ..

مد يده وأمسك كفها ، وقال :

- أقسم لك ..

تكلم وقلبه ينتفض بين ضلوعه ، لكنها لم تتركه يكمل ..
لفضت يدها من يده بقوة وقامت ، قليلة :

- تقسم لي !!! وهل جرّوت على قولها !!

تكلمت في عدم تصديق .. قام هو الآخر ، وهي تكرر :

- تقسم لي !!! على ماذا ستقسم ؟ وبماذا ستقسم !! وكيف
سأصدقك ؟

خرجت مسرعة ، فتبعها حاملاً الحقيبة واستوقفتها محيطاً
ساعدها بكفه .. حاولت إبعاد يده فلم تستطع برغم أنها
لم تشعر بأنه يمسكها بقوة ، وقالت :

- أرجوك .. أنا لا أريد شيء منك .. اتركني لحالي ..

- لن أتحدث لو يريحك هذا .. لكن خذى المال فهو من
حقتك ..

تحدث برقة شديدة لم تهتم لها (ونام) لو تتقبلها :
- لا أريد ..

حركت رأسها في عصبية .. ترك ساعدها ، ثم أريدت :

- خذهُ لنفسك .. لحرقه .. ألقي به في النبل ..

حركت يدها في الهواء ، وكئها تلقى بالمل فعلاً ، وقالت :
- تصدقني به ..

هدأت قليلاً وتكلمت كئها وجدت الحل :

- نعم تصدقني به ، فقد يظفر الله لك ..

- أنت تعرفين أنني لم أرتكب إثماً لأطلب غفران الله ..

نظرت له في صوة لكن نظرتها لم تهزه .. وبرغم تأكده
من أنه لم يذنب فيما فعله ، ولكنه لكل :

- على أي حال إن حدث ، فإني سأصدق من مالي .. أما
ملك فهو لك ..

التقط أنفاسه في هدوء ، وأكمل :

- احرقيه - ألقه في النيل .. تصدق به .

نظرت باحتقار لتكراره كلامها .. فردت على نظرتها
بتحد :

- نعم تصدق به ، لعل الله يفر لك .

اشتعلت غضباً من كلامه ، فصاحت به :

- يفر لى أنا !!! وماذا ارتكبت لنا لأطلب المغفرة !!!

كنا يقفان في الشارع يتحدثان دون اهتمام للمرارة التي
لغت انتباههم الجدال الدائر .

- ألا تعرفين ! حرمتنا من بعضنا .

- أنا .. أنا .. من فعل هذا !!!

شعرت بالدوار .. وبأعصابها تحترق ..

ماذا يريد منها ؟؟

أريد إعادتها لحالة الانهيار التي عانت منها
شهوراً !!!

***** ٢٦ *****

تصاعدت في نفسها وقد ذهلت من جرأته .. ماذا يريد
منها ، وهي بالكاد تحاول استعادة حياتها بعيداً عنه ..

ألا يكفيها ما فعله بها ؟

أريد الإجهار عليها ؟

عادت نبرته ترق ، وهو يقول :

- أرجوك .. أعطني فرصة أدافع عن نفسي .. أشرح لك
ما حدث من وجهة نظري .. أتركيني أحكي لك ما حدث ،
ولاحكي أنت .. وأعدك أنك لو سمعيني ثم ظننت على رأيك ،
فلن ترى وجهي مرة أخرى .. أبداً .

قلل للكلمات الأخيرة بتصميم .

لم ترد عليه .. أحس أن عدم معارضتها له تحمل أملاً ،
مما شجعه على معاودة الكلام :

- أستحلفك بالله وبكل ما هو غالي لديك .. بما كان
بيننا ، لو كان له قيمة وقتها ..

نظرت له وفكرت في نفسها .. لو لم يكن له قيمة لما اتهارت .

***** ٢٧ *****

عاود الكلام وهو يراقب نظراتها ، عله يرى فيها ما يبحث
فى نفسه بعض الطمأنينة :

- بالله عليك .. اجعلى هذه آخر مرة .. لقد مررت فقرة
طويلة ، وربما الكلام الآن أجدى من الكلام وقتها .

فكرت .. معه حق فى أنه قد مرّ وقت طويل .. ومن
أدري منها بطول الوقت الذى مرّ ..

نهار بعد نهار .. وليل بعد ليل ..

فى الوقت ذاته كان (يوسف) يأمل أن تكون نفسها قد
هدأت .. متسامحة .. أمنية لم يفلتها حتى لنفسه ، فبان له
كرامة هو الآخر .. وقد سمح لها بلحرجه مرة وثنتين ، وتقرّل
عن بعض كبريائه ، واستسمحها مرة بعد الأخرى ، لكنها كانت
كالصخر الصلب الذى تحطمت عليه كل محاولاته ، وكأنه
لمواج هائلة ضعيفة ، أمام صخر صلب ..

ردت عليه بعد تفكير عميق :

- ماذا ستقول ؟

لم يتركها تكمل .. فهو يعلم أنها رافضة لأن تسمع أى
شئ ، وستعود لتخبره بأنه مهما كان ما يقوله فلن يعنى لها
شئ ، ولن يغيّر ما حدث .. لكنها لم تكن هذه المرأة حلوسة
فى رفضها .. لمح بعض التردد ، فعاد يحاصرها بكلامه :

- اسمعنى وحسب .. ماذا لديك أكثر لتخسريه .. اسمعى
قصتى من بدايتها لنهايتها .. فبان أنك شئ منها فلفله
بريق أمل ..

قالتا بشئ من التناؤل ، ثم أكمل فى استسلام :

- وإذا لم يحدث ، تكونين قد فعلت كل ما تستطيعينه ..
ولو أمام نفسك ..

فكرت فى كلامه .. ربما معه حق ، وبعد كل هذا الوقت
لن تخسر شيئاً من أجل ما كان بينهما ، واستطردت قلقة :

- غدا الجمعة ، قصصى بعد غد مساء لأخبرك رأيى .. فلما
الآن متعبة جداً ، ولا أريد الوقوف فى الشارع أكثر من هذا .

تركت الباب مفتوحاً لنفسها ، كى لا تتلم بعد ذلك على
أنها وافقت ، أو على أنها لم تفعل .

أُتلج الكلام صدره ، وأرضاه أنها لم تسرع بالرفض كالعادة ،
وإن أزعجه التعب البادى عليها ، فأصرع قاتلاً :

- اسمحني لي بالقيام بتوصيلك .

- لا .. وشكراً لك .

عاد يلح عليها قاتلاً :

- لكنك لست بخير .. ساركب معك للتاكسي فقط ، لأطمئن
أن شيئاً لم يحدث لك ، وأنت وصلت المنزل بسلام .

كادت تعترض .. فسارع يقول :

- اعتبريني راكباً آخر .

لم يكن لديها أدنى جهد لمعارضته ، فتركته يقتادها إلى
التاكسي الذي أوقفه ، وركب بجوارها ..

فكر حائرًا وهو جالس بجوارها ، هل يتركها لتفكر على
مهل ؟

أم يضغط عليها الآن لتوافق على سماعه ؟

***** ٣٠ *****

فقد تكون هذه فرصته الأخيرة والوحيدة للحديث
معه !!

عاد يعلو الحديث ، لكنه أشفق عليها عندما أمعن
النظر في وجهها رآها مهزوزة ..

حتى وقت رفضها له ، تكن محطمة هكذا ..

نعم ، هو على علم بتهيارها لشهور ، لكنه لم يرها منهارة ،
ولم يتخيل إلى أي حد وصلت ..

فدافعاً ما رآها قويه ، ومعتزة بكرامتها وكبريائها .

سأل السائق التوقف أمام منزلها ، وراقبها حزينا وهي
تبتعد دون أن تتلث ولو مرة ، تنتظر إليه .. لكنها فعلت ، فقط
بعد أن دخلت إلى مدخل العمارة ، ودون أن يستطيع هو
رؤيتها ..

بقيت النظر إليه ، وهو منتظر في السيارة لترى ملامحه

***** ٣١ *****

مرة أخرى .. وكأن كل هذا الوقت الذي مرَّ عليها معه لم يكفها . كانت ملامحه المحفورة في ذاكرتها والتي اجتهدت في محاولة نسيانها قد أوحشتها ..

كان قرارها تصريق كافة صوره كلها .. حتى التي كانت معه فيها ، بل إنها مزقت صورها التي التقطها هو لها ، وكل صورة حملت ذكرى معه أو منسوبة لهما معاً .. أو حفلة حضرتها معه .. كان قراراً صعباً ، لكنها أخذته وحسمته ..

لم تترك صورة واحدة تلع عيناها عليها ..

لم تخفي صورة ..

لم تسس لو تتناسى صورة .. كلها بلا استثناء مزقتها ، ثم أحرقتها ..

خيل إليها وقتها أنها لم تطو هذه الصفحة من حياتها ، بل مزقتها ، وكأنها لم تكن موجودة في الأصل .

وها هي تعود بعد ما يقرب من السنتين ، تعود لتفكر

فيه .. تعود لتقرر هل يستحق أن تسمعه ؟

لقت بجسدها المنهك على أول كرسي صغفها لدخل المنزل ، وأغمضت عينيها ، وهي تتنفس بملء رئتيها ، محاولة الاسترخاء ، مفررة عدم ترك نفسها تدخل في مطحنة التفكير الآن .



٢- أول الحكاية ..

جلست (ونام) في مقعد ذي مسندين « وتركت نفسها تغرق في نعومته وهي تنتظر إلى (يوسف) الجالس أمامها على كرسي أكل راحة وأعلى من كرسيها ، وهو يستند بمرفقيه على فخذه ، ويشبك أصابعه أمامه ورأسه منحني ..

دارت بعينها في حجرة الصالون ، التي طالما شهدت زيارته لهم .. لم يجنب نظرها شيء بالتحديد ، فعلت تنظر إليه لكنها لم تحاول النظر في عينيه ، ولم يحاول هو الآخر مواجهتها ، لم يد واثقا في نفسه كما كان عندما طلب منها أن تسمعه .. ولم تكن هي الأخرى على أنني قدر من الثقة في نفسها .. لم تعرف إن كنت قد أخطأت أم أصابت بمساحلها له بحكية ما حدث ..

سألت نفسها :

هل كان فضولا ؟؟

« لم يكن كذلك » قررت بحسم ، وإلا لما رفضت سماع أي أخبار عنه طوال هذه المدة ..

الآن هي تريد أن تعرف وبوضوح ما حدث ..

***** ٣٤ *****

لن تنكر أنها في بعض اللحظات شكت أن لها يدا فيما حدث ..

إن عليها ولو القليل من اللذنب ، رغم سخافة الفكرة وبُعدها عن الحقيقة .

ظل صمته ويدا مرتبكا ، ولم تفرح (ونام) لترده ولربكته .. جلس أمامها لوقت ليس بالقصير دون قول كلمة واحدة ..

كان من الواضح أنه يجد صعوبة في إيجاد بداية يحكي منها .. أو كلمات تصف ما حدث .. ولم تشعر هي بأي رغبة في مساعدته ، أو حتى تعجله .

لكنها رغما عنها أشفقت عليه ، وكرهت ذلك .. كرهت أن تدعه يثير فيها أي إحساس سوى الغضب .. والكراهة .. والرفض .

أرادته مغرورا ومعتدا بنفسه .. كما كان عندما أتى إليها أول مرة ، يخبرها بطلته بكل بساطة .

لوقتته هكذا الآن لتكرهه أكثر .. لا تحب أن تراه مستسلما هكذا .

وخرجت منه الكلمات متعثرة :

.. كنا .. أأ .. كنت ..

***** ٣٥ *****

أراد البدء من معرفته بها وحبها .. من إحصائه بأنها تستحق ما هو أفضل بكثير من إمكانياته المتواضعة .. من الفكرة التي جاءت له بأن يحسن مستقبله ببيع لشقة ، وعمل مشروع قد يوزج زفافه لفترة ، ولكنه في النهاية سيعطيه دفعة ، ويجعله أقدر على إسعاد (ولام) .. حبيبته . أراد ذكر كل الأوقات والمشاعر الجميلة التي تقاسمها ، لعلها تشفع له عندها .

لكنه عاد ولدرك علم للمحاولة .

شعر أنه من الأفضل البدء من بعد ذلك كله .. فلو أن لكل مامرٍ عليهما مفاً قيمة ، فاعطها باقية كما هي ، لا تحتاج لإظهارها إلا إزالة هذا الحاجز الذي وجد فيما بعد .. عندما ذهب إلى الغردقة ..

بمجرد إدراكه ذلك ، تدفق الكلام من بين شفثيه ، وكل ما حدث هناك يعود إلى ذهنه ، وكأنه يحدث من جديد .

كان قد ذهب إلى الغردقة قبل بيع لشقة أو ترك عمله بلقاهرة ، وتأملها بنظرة مختلفة .. فهو لم يأت ليصل بالإجازة الصيفية ، ويستمتع في وقت الفراغ القليل المتاح ، بل أتى لينى مستقبله ،

***** ٣٦ *****

أو ليبحث عن فرصة للفعل ذلك بمبلغ من المال ، جزء منه سيكون ديناً في رقبته ، والجزء الآخر كل ألامه ومستقبله .

درس السوق بطن ، وفكر في المشروع الذي يناسب النقود التي لديه وخبراته ، ورأى أكثر من مكان معروض للإيجار أو البيع .. حاول فعل كل شيء بالصورة الصحيحة .. واجتهد في البحث حتى وجد ما يريد .

عاد إلى القاهرة ، وطم استقلته من عمله ، وباع لشقة ، وأخذ النقود من (ولام) ووضعها مع باقي مدخراته التي كان يستعد لإطلاقها على حفل الزفاف وتلث الشقة .. وضعها في البنك بانتظار سحبها بعد الاتفاق الأخير مع أصحاب الكافيتريا السياحية التي نوى تلجيرها ، وتجربة حفله قبل أن يقدم على شرائها .. كان أكثر من حذر في كل خطوة أخذها .

استرمل (يوسف) في الكلام ، وهو يحكى لـ (ولام) كيف كانت الأيام الأولى صعبة وكيف وصل الليل بالنهار وهو يعمل في دلب على تجهيز الكافيتريا واختيار العاملين بها ، استعداداً لافتتاحها في أقصر وقت ممكن ، كي لا يتجاوز فترة السماح القصيرة ، التي منحها له أصحاب الكافيتريا ، لينهى عمل التجهيزات دون أن يكون ملزماً بدفع إيجار ، ويبدأ في العمل وتحقيق الربح .. لم تكن مهمة سهلة لكنه كان متحمساً وسعيداً ببذل أقصى جهد ، ونجح فيما أراد ، وتم الافتتاح ، وبدأ العمل .

***** ٣٧ *****

لم يسلم (يوسف) الإشراف على كل كبيرة وصغيرة ، والمساعدة
فى كل شىء ، بدءاً من التنظيف .. مروراً بإعداد الطعام
والمشروبات والطهى انتهاء بتقديمه إلى الزبائن .. ومرّت
أسابيع على هذا المنوال ..

كم واجهته إحباطات .. أيام مرّت دون عمل - أو فشل
فى إعداد طعام ، أو فساد ، لكنه بدأ يجنى ثمار تعبهِ ، وبدأ
العمل يستقر ..

كان يعلم بوجود أيام كساد لا بد أن تمر عليه ، كما توجد
أيام رواج ، واستعد لتلك أكثر من هذه .. وقرّر التوكل على
الله ، وشراء الكافيتريا .. وتمّ له ما أراد ..

كان ما حدث أكبر بكثير من الكلمات التى تختصر بها بضعة
شهور من العمل الشاق المتواصل ، لكن - لم يكن لديه أفضل
من ذلك ؛ ليصف جهده الذى بذله من أجل (ولام) ، قبل أن
يكون من أجله ..

كانت حياتهم المشتركة وسعادتهما وبيتهما نصب عينيه
فى كل لحظة .. حاول أن يشرح لها هذا ، وهو يعلم أنها كتبت
مؤكدّة من ذلك ، وتشعر به وقتها على الأقل ..

لحاديثهما على الهاتف والرسائل التى تبادلها قصت
عليها مقدار جهده ، وقصّت عليه مقدار تقديرها هذا الجهد ..

استقر العمل ، ولم يحدّ يحتاجه كالسابق .. وأصبح هو
أكثر ثقة فى العاملين معه ، وتفهموا أسلوبه فى العمل ..

وبدأ يشعر بالوحشة وثقل الوحدة ..

بل والغربة ، برغم أنه فى بلده ..

شعور قانس .. ألمه .. خنقه .. أضغفه ..

لم يكن له أصدقاء فى الغربة ، والأهم لم تكن (ولام) هنا معه ..

شعر أنه يحتاج لشخص معه يحنّه .. لم تستطع (ولام)
القدوم لزيارته ، عملها ، أسرّتها ، واعتبارات كثيرة ..
حالت دون حضورها ..

والمكالمات - مهما طالت بينهما - قصيرة ، لا تكفيه ،
ولا تشبعه ..

أراد رؤيتها ، ليس فى صورة صغيرة أو فى الخيال ، بل
فى الواقع ..

أراد النظر إلى عينها وهو يكلمها ، ويشعر بتجاوبها مع
كلماته ، ووقع كل كلمة عليها .. شعر بحاجة ملحة إليها ..

كان ينظر فى ساعته التى تحيط معصمه باستمرار هدية
(ولام) إليه ويتذكّر أوقتهما معاً ، فتزداد وحشته ، وشعوره
بافتقادهما ووحشته بدونها ..

كانت هذه الساعة فيما سبق تحسب مواعيد لقاءهما ، ولكنها الآن تحسب ساعات بعدهما ، ومعاقبة كل منهما من البعد والغربة .

المجهود المبني والعصبي الذي كان يئنله في العمل ، ويشغله عن أشياء كثيرة أصبح أقل ، ولم يعد يستنفذ طاقته ويرسله للنوم سريعاً ..

وبرغم أنه كان ينام ساعات قليلة أصلاً .. إلا أنه أصبح أرقاً .. أصبح لا ينام تقريباً ، وزاد هذا من عذابه .
طال نهاره عليه ، وكذا طال ليله .

أنهى (يوسف) حديثه ، ونظر إلى (ولم) يستطلع قطبائها عما قاله في قلب ، لكنها لم تظهر أى رد فعل ..

أراد تعاطفها ، ولكنه لم يكن ليحصل عليه .. الآن ..

في الحقيقة هي تكرر هذه الأيام جيداً ، وقها شعرت بتعاطف معه ، بل ويلوعة عليه .. شعرت بالألم لأنه بعيد عنها لا تستطيع رؤيته ، والتخوف عنه ، وهي تعلم أنه يكبح ، ويتعب من أجلها ..

***** ٤ *****

بعدها سخرت من سذاجتها .. لم تعد لتغير مشاعرها بهذه السرعة .

سلا الصمت بينهما ..

نظر (يوسف) في ساعته ، ظن أن نصف ساعة مرت منذ جلس ، ليفاجأ بأن أربع ساعات طويلة مرت وهو لم يقل شيئاً بعد .. كان الوقت قد تآخر ، وعلم أن عليه الانصراف ، فقل :

- سأنصرف الآن .. وأتى غذا في نفس الميعاد .

أخذ كلامه صيغة تقرير أمر واقع ، ثم عاد واستدرك ..
إذ لم يكن الأمر بيده :

- إذا سمحت .

لومات برأسها وقلمت بهدوء ترفقه حتى باب الخروج ، دون أن تتطرق بكلمة واحدة ، فودعها قاتلاً ،
- إلى اللقاء .

ودعها وهو مشتت التفكير .. لا يعرف إن كان هناك جدوى من حكايته ، أم لا ..

شعر أنه فشل في إيصال أحاسيسه لها ..

تمنى أن يكون أفضل في المرة القادمة ، وعزّوه أنه سيرأها مرة أخرى .

***** ٤ *****

لما (وليام) على الجانب الآخر ، فقد تجنبت الحديث مع
أماها وأبيها .. ماذا ستقول لهما ؟

تعرف أن أملاً يحدوها لتعود مرة أخرى لـ (يوسف)
أو على الأقل لطبيعتها .. لم يكن لديها ما تغذى به هذا الأمل .

لقد حاولا الحديث معها من قبل ؛ لكنها لم تستجب لأي
محاولات منهما أو من أشقاتها أو صديقاتها ..

راقباها تنهار ، وراقباها تفتق من انهيارها ، وتعود
الوقوف على قدميها .. قدما لها كل الدعم المعنوي
الممكن .. وتركها الآن تعود فتخوض للتجربة ، لم تكن
صغيرة . وكنا على ثقة بأننا نعرف ما تفعل .

وبنا سخرية القدر .. لم تكن (وليام) على أدنى قدر من
الثقة في نفسها ..

ماذا تريد أن تسمع .. ماذا تتوقع منه ؟

ما الذي تريد منه أن يقوله ؟

ما قاله حتى الآن يرضيها ولكنه مجرد مقدمة ، تبرير لما
سيأتي بعده ، وهي تعرف جيداً ماذا أتى بعد .. وتعرف أنها
ستمسعه غداً .. ولم تعرف كيف تنتظر للفد ..

***** ٤٢ *****

إن أرايت انتظاره فعلاً .. كيف تحتمل اقترباه ؟!

منعها الأرق من النوم .. ظلت طوال الليل قلقة تفكر في
(يوسف) وفي كلامه معها .. في شكله .. ملامحه .. جلسته
أمامها ..

وفي اللحظات القليلة التي نامت فيها أحاطتها كوابيس
وخيالات لأشياء فظيعة مرعبة .

استيقظت (وليام) في الصباح من نوم مضطرب لمدة ساعة
أو أقل وهي في حالة سيئة .. ولم تذهب إلى العمل .

حاولت تهدئة نفسها أو النوم دون جنوى ، وعندما اقتصف
النهار ، شعرت أنها لم تعد تحتمل ، أخذت الهاتف لتتصل به ..

كان عليها أن تفعل .. أو لم يكن .. لم تعد متأكدة من شيء .

كانت تعلم أن تأجيل سماعها للحقيقة لن يغير مما حدث
شيئاً ، بل قد يزيد عذابيها ، ولكنها لم تقو على هذا .. شعرت
أنها لن تستطيع مواجهة اليوم ، وهو يعترف بخيانتها لها ..

أرايت تأجيل سماعها لهذه الكلمات ولو ليوم واحد ، ثم
تكن لتعود في قرارها بسماعه .. أم أنها ستفعل ؟؟

***** ٤٣ *****

أدبرت أصابعها رقم الهاتف في يسر ، دون أن تنتبه إلى أنها
لم تنسه ، برغم أنها لم تطلبه من مدة طويلة .. لم تعلم هل هو
موجود في منزل والديه لم لا .. لو ماذا ستقول لمن يرد عليها ..
لم تترك هل هو حظ حسن لم سئ : كون (يوسف) هو الذى
ردَّ عليها -

جفاً حلقها عند سماع صوته ، ولم ترد على الفور ..
أخذت لحظة لتستجمع أفكارها .. وكان عليها قول شيء رداً
على سؤاله «من يتحدث» ..
- أنا ..

وعلى الفور ردَّ بصوت ذاهل :

- (ولام) !!؟

هل اندهش لأنها اتصلت ، أم تخوف من أن تكون قد
تراجعت عن قرارها ، وقضت في النهاية ألا تسمع شيئاً ..
هوى قلبه فى صدره .

قالت فى وهن :

- أنا ، لست بخير ..

فسألها فى لهفة وقلق .

***** { ٤ } *****

- ماذا بك ؟!

- متعبة قليلاً .

- هل ذهبت للطبيب ؟

- لاشيء جدى .. فقط أريد أن أرتاح اليوم .

شعر بالذنب ، هو للسبب فيما هى فيه الآن .. بضغطة
عليها أكثر من اللازم ..

فكر .. ربما هو يطلب منها أكثر مما تستطيع تحمله ..

أكثر مما تستطيع أى امرأة تحمله !

بخلصة وهو يعلم أنها مرضت سابقاً بسببه ولم يرد أن
يحدث هذا مرة ثانية ، فقل :

- سلمك الله .

- نؤجل ميعادنا ؟

- كما تحبين .

لم يطلب منها تحليل ميعاد آخر .. فكر .. ربما عليه ترك
الأمر عند هذا الحد ، ويتركها تسير فى حياتها ..

لم يقل أى شيء ..

***** { ٥ } *****

أحس بالوهن الذى ملأ صوتها يسرى فى جسده ، وظلت
هى صامته على الطرف الآخر دون أن يستجيبها -

تكلمت فى النهاية :

- لنكمل غذا .

كاد يطلب منها نسيان الأمر برمته ، لكنه أحجم وأنهى
المحادثة بقوله :

- مع السلامة .. وألف لا بأس عليك .

- مع السلامة .

أغلق السماعة بسرعة قبل أن يقول شيئاً آخر .. أراد أن
يصرخ فيها : أحبك ..

أحبك .. ولا أريد لك التآلم للحظة بعد الآن ، ولو من أجل
أن نعود لبعضنا .. لكن الشجاعة لم تواته ..

شعر أنه أكثر أتاتية من ذلك .. إنه يريد حبها ..

يريدها أن تعود له كما عاد هو ..

يريدها أن تنظر فى عينيه ، وتبتسم تلك البسمة الصافية
التي طالما اختصته بها .. تلك البسمة التي كانت تملأ
شفقتها .. عينيها ، وجهها .. والنفس من حولها .. من حوله .

أراد أن يصرخ فيها : « أحبك » -

***** ٤٦ *****

« اتس ما مضى دون أن أحكيه فيؤلمك » .

لكنه لم يستطع أن يقول لها أى شيء ، متركاً وهن
العلاقة بينهما الآن ..

وكأنه يمشى على خيط عنكبوت .. أى حركة خاطئة أو
مفاجأة تمزقه .

ومع أن اللغد بدا بعيداً ..

بعيداً جداً ..

إلا أن بعده يهون .. مادام يحمل بعض الأمل .



***** ٤٧ *****

٣- محاولة الهروب ..

عادت إلى عملها في اليوم التالي مباشرة .. ذهبت مبكراً عن الميعاد المعتاد .. لن تأخذ إجازة تلو الإجازة ، كما فعلت من قبل .. ولن تستغل كرم مديرها .. وصبرهم عليها أكثر من ذلك .. عملها هو الذي اقتتلها من الضياع المرة السابقة ، ومساعدتها في الحفاظ على سلامة عقلها .

لماذا تركت نفسها للدخول في التجربة مرة أخرى !!!

لماذا وضعت نفسها في أتون التفكير مرة أخرى !!!

حضر (عمرو) ، زميلها بعد وقت .. نظرت إليه ، كن أول من طلب منها الزواج بعد انفصالها عن (يوسف) بمدة كافية - لو أنه هناك بالفعل مدة كافية - ولكنها رفضت ليس على الفور كما أرادت أن تفعل في البداية ، بل أعطت نفسها فرصة ، أرغمت نفسها على الموافقة عليه مبدئياً ، فلم يكن لديها عز لترفض .. كل شيء فيه جيد ومقبول .. تدينه .. أخلاقه .. إمكانيته .. كل شيء ..

لكنها لم تستطع الاستمرار .

لماذا ؟

هل لأنها فقدت الثقة في كل الناس .. لو ربما في حكمها هي على الأشخاص ..

لم لأنها كتبت ومازلت لم تبرأ من حبها لـ (يوسف) ..

(يوسف) .. رنَّ اسمه في عقلها .. لماذا فعل ما فعله ؟

لماذا عقد حبتهما ؟

ربما لو لم تكن ثقتها به مطلقة .. لو لم تكن تحبه بهذه القوة ؟

ربما وقتها لم تكن للصدمة لتزلزلها - وتهدمها كما فعلت .

لكنه عاد ..

عاد لها بملء إرادته ..

مرة واثنين وخمسة ..

يسألها أن تقبل به مرة أخرى ..

أن تسامحه ..

وماذا تعنى عوبته ؟ إن الخطأ خطأه على أى حال ..

وهل لمجرد أنه طلب .. عليها الاستجابة ؟؟

أم لأنها تحبه وتعرف أنه يحبها ..

للحب الأصمى ، تتركه ليتحكم فى حياته .. أم العقل ؟؟

لماذا رفضت (عمرو) حقيقة .. ألم يكن لأنها لم تتخيل
نفسها زوجة لأخر غير (يوسف) .. بل لم تتخيل مجرد أن
تلبس دلة خطوبة تحمل اسمًا غير اسمه ، وتربطها بغيره .

طربت الأفكار من عقلها ، وركزت فى عملها فهى على
كل الأحوال لم تسمعه بعد لتقرر ..

ظلت تعمل حتى بعد وقت الانصراف .. لم يكن هناك
سوى العمال عندما غادرت العمل ، عادت إلى المنزل سعيدة
بإحساس التعب من يوم عمل طويل ..

أعادها إلى إحساسها بذاتها ووجودها .. قيمتها وقوتها ..

وعندما استيقظت بعد ساعة القيلولة ، شعرت أنها قادرة
على مواجهة (يوسف) وما سيقوم بحكايته أيًا كان .. على
الأقل هذا ما اعتقدته هى .

جلس (يوسف) أمام (ونام) ، وهى المجنى عليه ، والقاضى
جلس (على كرسى الاعتراف) ففكر متلماً ، وهو حاول أن
يجد كلمات يبدأ بها من جديد حكايته وأمامه وجه (ونام)
للشاحب .. كان استقبال والدتها القاتل أحد أسباب توتره ، لم
يرى الدفاء المعهود فى عينيها وكان هناك جفوة شديدة
بينهما ، مع أن علاقته بها كانت أفضل ما يمكن .. علاقة
طينية ، وطينة .

فكر (يوسف) فيما سيخبر به (ونام) ، هو يعرفه جيدًا ،
وإن لم يعرف ماذا سيكون تأثيره عليها .. أسند ظهره إلى
الكرسى ، وأرجع رأسه إلى السوراء ، وخفض بصره وشرع
يحكى من حيث توقف ، وهو يحاول تناسى وجود (ونام)
ليستطيع الحديث .

كان يذكر هذه الليلة بالذات ، برغم أنه من المفترض
الاختلف عن أى ليلة أخرى مرت عليه وهو ممهد أرق ..
خرج ليتمشى فى الليل الساهر حتى ساءلت الصباح الأولى ، فى
الفردقة الجميلة التى يقصدها الناس للاستمتاع من كافة
أرجاء المعمورة .. بينما هو لا يستطيع إلا أن يفكر فى طريقة
تخلصه من ضيقه بالمكان ، الذى حال دون استمتاعه بالهواء
العليل ، وظلمة الليل لوداعة لتنى لا يخرقها سوى الأنصواء
الخافتة للمحال والكافيتريات .. والهمسات الخافتة لتنى يتبادلها
المارة ، فتكسر الصمت وتحيله إلى أنس حميم .

جلس في إحدى الكافيتريات المنتشرة على شاطئ البحر ..
نظر إلى البحر وتأمل حركة أمواجه الهادئة ، وهي تتوالى
وتلمس رمال الشاطئ ، وتعود لتسحب في روعة .. ألوان
البحر الغامقة الغامضة .. لتساعه - معرفته بعمقه والحياة
التي يخفيها .. تأمل كل هذا على مهل .

كانت أضواء الشموع الموضوعة في زجاجة حول قمكان
ناعمة ، لدرجة أنها أخذت منه ثورته ، وأبلقته بصلمة بالاسترخاء
، وجعلت عقله يهدأ ويترك أفكاره المتصارعة للحظة ..

في نفس اللحظة التي رأى فيها (كارين) ، كانت جالسة
وحدها تطالع كتاباً ، ويجوارها شاب وفاته أجنبيان يلعبان
الطولة في استرخاء ، واضح أنه من تأثير صخب يوم
طويل .

لم يكن فيها شيء مميز ..

كان في العادة يرى أغلب الأجانب متشابهين ..

مجرد عملاء .. زبائن وحسب .. بخاصة خلال تولجده في
للغرفة هذه المرأة .

في المرات السابقة التي زار فيها الغرفة ، بهر بالأجنبي الشاب
العادي ، الذي يلف للعالم بحقيبة صغيرة على كتفه ، ومبلغ

نقدي بسيط ، معتدداً على نفسه ، فتي كان أو فتاة ، وعلى
استعداد لأن يعمل أي عمل بسيط ، أو يخيم في العراء ، من
أجل أن يتعرف على للعالم من حوله ، ويثرى خبرته ..

أخذ غليون بعضهم ، ودب على مرسلتهم ، ثم توقف بعد
ذلك عن المراسلة وعن الانبهار .. وبدأت نظراته تختلف
لكثير من الأشياء ، فكثير من شبانها يكلفح لا ليتزده ، بل
ليعيش - يساعد نفسه ويساعد أهله .

صدمه كذلك فئة من الشباب ، رأى ما يفعلون في فترة
للصيف ، من محاولة التعرف على الأجانب ، لإقامة
علاقات غير مشروعة - أو محاولة الزواج منهم على أمل
السفر للخارج .. وهو لا ينسى أبداً (طارق) زميله بوقع
منطقه الفطيع في أنفيه !

- «ولو لم أسافر لبلدا لا بهم -

يكفى أنه زواج مجاني ..

إن لنفع لبيض ولا أسود .. وإن تقول لك مهر أو شبكة ..

إن أملك عشرين سنة أخرى ، حتى أستطيع للزواج من
مصرية .

ولا أنوي الرهينة خلال هذه المدة » .

يومها لم يجد (يوسف) رداً عليه برغم عدم موافقته
(طارق) في أى مما قاله ، ولكنه لو سمع هذا الكلام من
أحد الشباب الآن ، فإن لديه أكثر من رد ، ولن تكون
محاضرة فارغة .. بل كلام على أساس مقنع ..

عاد (يوسف) يذكر (كارين) .. ماذا جذبته فيها ؟

وهل التجنب لها من الأصل ؟

كل ما حدث وقتها أنه لمحها وهو يستعرض المكان من
حواله .. بعدها أحس أن لحداً يتفحصه ، حاول التأكد من صدق
إحساسه ، فوجد أنها تنظر إليه . لم تخفض عينها أو تجفل ،
ولكنها أومأت له برأسها تحييه ..

لَمْ .. لا يعرف .. لكنه رد تحيتها بنفس الطريقة وفى تلقفية .

لم تكن تجلس بعيداً عنه ، لكنه كان منفصل عن جميع
الموجودين باختياره ، أهدأ ركن فى أقصى الكافيتريا .
جلس على المساند المنتشرة على الأرض ، وفرد ساقيه
أمامه ، وأسند ظهره على جذع من جنوع الخيل المرصوفة
لتحيط المكان .. كان التصميم جميلاً ، يوفر الراحة والبساطة
أما السقف ، فيكون من جريد نخل معرض على الطريقة
البدوية ..

***** ٤ *****

دخلت مجموعة من السالحين ، وبدأ أنهم يعرفون الفتاة
والفتى لاعبى الطاولة ، فجلسوا من حولهم ، وأصبح الجزء
الذى تجلس فيه (كارين) مزحماً ، وقتها لم يكن يعرف
اسمها بعد .. ولكنه عرفه بعد لحظات قليلة ، عندما
انتقلت من مكانها لتجلس بجواره فى هدوء ، وهى تحمل
معهما الكتاب الذى تقرأ فيه ، فاجأته بقولها :

- أهلاً .. أنا (كارين) .

قالتها بالإنجليزية ، بصوت خافت ، وبلا ابتسامة ، وردّ
عليها (يوسف) بنفس الطريقة ، ومن باب اللياقة :

- أهلاً .. أنا (يوسف) .

لم يحاول تجانب الحديث معها ، برغم وحدته القاتلة ،
لأنه لم يرغب فى الحديث مع أى شخص وحسب وإنما أعياه
إيجاد هذا الشخص .. بل رغب فى الحديث مع (ونام) ،
(وونام) بلذلت .

تسلل إلى أذنه صوتها مرة أخرى :

- إجازة ؟

هذه المرة نظر إلى ملامحها ، بدت فتاة صغيرة ، قدّر
عمرها

***** ٥ *****

بثمانى عشرة سنة أو أقل .. فى الحقيقة كنت أكبر من ذلك
ببضع سنوات .. ولم يدر ما جنسيتها ، فلم تكن هناك لكنة
محددة فى صوتها - مع قلة الكلمات التى قلنتها - تصاعده
على تحديد هويتها ، لم يستطع تجاهلها ، فقد كنت تتحدث
بلعب ، فأجاب :

- لا .. بل عمل .

رئت بالفضاض :

- وأين تصل ؟

ذكر لها اسم الكافيتريا .. فقلت :

- هل يريدون أحياناً للعمل هناك ؟

لم يكن متأكدًا من رغبته فى تشغيل شخص إضافى ، ولم
يعرف هل هى تحتاج للعمل أم ترغب فى التسلية وشغل وقت
الفراغ . نظر لها يحاول تقييمها ، بدءًا من القلعة القطنية
ذات الحملات ، والشورت الذى لا يكاد يصل إلى ركبتيهما -
مرورًا بجسدها المائل للامتلاء ، والتمش القليل المتأثر على
وجنتيهما ، بجوار أفهما المتناغم مع اللون البرونزى ، الذى
اكتسبه وجهها من كثرة التعرض للشمس هنا بلاشك ..

وبدا شعرها الأصفر القصير مقصف الأطراف على
كتفيتها ، وقدّر أن هذا من تأثير ملوحة المياه .

لم يستطع تحديد جنيتها فى طلب العمل ، أو صلاحيتها
له ، كان للكثيرون من أصحاب المنشآت السياحية يفضلون
تشغيل الأجانب لتكنهم من اللغة ، وشعور العميل الأجنبى
بسهولة أكبر فى التعامل معهم . لكنه شخصيًا يفضل تشغيل
المصريين ، قال لها :

- مرنى على فى الكافيتريا ومنرى .

قام ليعود إلى منزله ، فقد فطنت الجلسة سحرها :

- وداعًا (كاترين) .

- (كارين)

- ماذا

- اسمى (كارين) وليس (كاترين) .

ابتسم لها نون اهتمام ، وقال :

- وداعًا .

- حتى نلتقى يا (يوسف) .

في الصباح كان قد نسي كل شيء عنها ، وحتى عندما عاد وقبلها عصرًا ، لم يتذكر ما إذا كانت ترتدي شالًا قطنيًا ذا طباعة بلوية مميزة ، منتشرة على الشواطئ تسمى (تايداي) ، ملفوف حول خصرها كحبيب أو منزر فوق رداء سباحة من قطعة واحدة .. كانت قد سألت عنه بالاسم فلرشدوها عن مكانه ، نظروا إليها دون أن يعرف سبب سؤالها عنه .. كان شكلها غير مميز ، لقلبية الأجنبية وحتى المصريات ، بمشدين مركبتين شورت قصير أو شال قطني فوق رداء السباحة المكون من قطعة واحدة أو اثنتين ، أو حتى مستطيلات على رمال الشاطئ بلودية السباحة .

ذكرته هي بطلبها للعمل ..

ربما كان إعطائه لها فرصة عمل من البداية كان خطأ هذا ما أفكر فيه الآن ، وهو يتذكر أن أبسط شيء هو كون أي شاب مصري أولى بهذه الفرصة ، عاد يتذكر عدم جدوى لوم نفسه ، فقد حصلت على العمل ، وهذا هو الواقع .

تبادل (يوسف) ، و (كارين) لأحداث طويلة عن الغردقة ، وجمال جوها وشواطئها .. كان الشتاء في أوجه ، ومع ذلك كانت الغردقة غارقة في جو ربيعي ساحر ، منعش ممتع .

سألته (كارين) بدهشة حقيقية في ثالث يوم عمل لها معه :

***** ٥٨ *****

- وكيف حدث أنك لم تطفس حتى الآن ؟
- لم أفكر في الأمر .. أنا هنا للعمل .

نظرت إليه بعينين متسعتين ؛ لعدم تصديقها لإمكانية وجود مصري في الغردقة طوال هذا الوقت ، دون الاستمتاع بالطفس .

فعاد يرد مبتسمًا من دهشتها :

- أنا لا أكاد أنزل للبحر .

- مستحيل .

- لاشيء مستحيل .. بلليل أنه حدث .

لقد سمعت قصصًا عن حذق الشعاب المرجانية تحت الماء ، والأسماك ، وأسراب الأسماك الملونة الرائعة ، ورأيت الصور وجننت .. أنا أكاد أفقد عقلي هنا ، لأنني لم أبدأ في القفص ، وأنت تتكلم بهذه اللبساطة :

- عندما أنزل البحر أستطيع مشاهدة للكثير بنظرة البحر ، وقسبة التنفس .

- لا .. هذا شيء آخر .. لقد فعلت هذا ؛ فزائني شوقًا للقفص ، حتى أدخل هذا العالم السحري ، أن أجد الأسماك والشعاب من حولي .

- إن أردت للقفص ، أعرف نادي غطس جيد جدًا .

***** ٥٩ *****

لخذا (يوسف) إلى نادى الغطس .. فى الطريق منته يدها
تتباطئ نراعه فليدها ينطف .. غرقها (يوسف) على صديقه
(هشام) الذى يصل بنادى الغطس ، وتسم الاتفاق على
التفاصيل ، أشار له (هشام) يستوفقه قبل أن ينصرف :
- عرضى ما زال قائما .

عرف (يوسف) ما يرضيه (هشام) بذلك ، فقد عرض عليه
أخذ دروس أكثر من مرة ، لكنه كان يرفض دائما :
- لا أريد أن أكلفك .

- أى تكلفة تلك .. أولاً : أنت صديق .. ثانياً : لقد احضرت
الكثير من .. للسلام .. اعتبرها عموماً .. تركنا يا أخى
نعمل واجبا معك ، ولو لمرأة واحدة .
- سأفكر .

لوح له بيده مبتسما ، وهو ينصرف مع (كارين) ،
التي سألته عن موضوع حديثهما باللغة العربية .. وحكى
لها ، فحاولت إقناعه بالاشتراك ليكونا سويا .
- ليس لدى وقت .

كفب عليها ، وهو أدرى النفس بأن لديه كل الوقت الذى
فى العالم دون شيء يفعله ، وقال :
- ليس إلى هذه الدرجة .

- الدروس تضى للترام ، وأنا لا أستمطع الارتباط بشيء
يهدنى عن عملى .

- حسنا ، ولكنى لن أليس .. على فكرة سذهب بعد غد فى
رحلة سفارى .. لا تقل لى أنك لم تذهب فى رحلة سفارى
أيضا .

- فى الحقيقة ذهبت مرة من حوالى ثلاث سنوات .

- أنت معجزة حقيقية .. بما أنك أرشدتني لنادى الغطس ،
اتركنى أدعوك إلى رحلة سفارى .

نظرت إليه فى رجاء ، وقال :
- لا أظن ..

- طوعنى لقد ذهبت مرة فى بداية حضورى ، وأنا متشوقة
للتكرار التجربة ، ثم إنها دعوة مجانية .

- إذا كان لابد .. فكل واحد على نطقه .

ابتسمت فى سعادة و صلفت كالأطفال ، وقالت :

- مضى هذا أنك وافقت .

هل وافق (يوسف) فعلاً ، لا يعلم ، لكنّه وجد نفسه بعد يومين وسط الجبال الساحرة فى رحلة استمرت ثلاثة أيام متتالية .

امتألت بالنشاط ، ومناظر الطبيعة البكر الرائعة ، والنوم فى العراء ..

أيام امتألت بالمرح ، والضحكات ، والمتعة .. وتساءل :

- منذ متى وهو لم يمرح هكذا ؟؟

فكر فى أنه لم يعد ينكر .. بل فى الحقيقة كان ينكر جيداً ..
آخر مرة كتبت مع (ونلم) .. شعر بالذنب ، وأحس أن (كارين) خلال أسبوع واحد بدأت تتغلغل فى حياته ، وتأخذ مكاناً أكثر من حقها بكثير .. شعر أنها تتسلل إلى حياته بالتدريج - إنها تحاول شغل فراغه ، وملئه بحديثها وأفكارها وتحريها الذى لم يعتد عليه .. لم يكن يشعر نحوها بشيء .. لكن إحساساً فظلياً بالخطر تملكه .

استقام (يوسف) فى جلسته ، وفتح عينيه ، ونظر إلى (ونلم) فوجد وجهها ممتعاً .. كتبت لنفسه تتلاحق ، وشعر بأنه بذل مجهوداً شاقاً لتذكره هذه الأيام ، فقال :

***** ٦٢ *****

- نعم .. خفت ، وفزعت ، وجئت إليك هنا فى هذا المكان - أعطيت لنفسى إجازة .. وجئت إليك لتمسانينى .. طلبت منك أن نتزوج فى الغدقة مؤقتاً - فالمشروع ناجح والمسألة وقت ، ونستطيع شراء شقة أخرى وتأثيثها .. فماذا كان رأيك ؟؟!

كانت تذكر هذا الموقف جيداً ، لكنها وقتها ظننته يتدلل عليها .. إن عزمته قد فترت قليلاً وصبره نلذ .. ويحتاج لقليل من التشجيع ، ورفضت الزواج وقتها .. نعم رفضت وهى لا تتقدم على ذلك .. فبماذا يتهمها ؟ فقالت :

- كان اختيارك من البداية أن نصبر ونتحمل .. وتأتى بعد تسعة أو عشرة أشهر من كلامك فقط لتغير كل شيء .. أنت ، وأنت وحدك ، وضعت خطة الثلاث أو الأربع سنوات .

- أعلم ، ولكنى لم أستطع .. ربما لم أكن أدرك وقتها الحالة التى وصلت إليها أو خطورتها .. لم أتخيل إلى أين يمكن أن تؤدى بى .. لكنى لجأت إليك .

- هل كان ما تطلبه منطقي ؟!

***** ٦٣ *****

قُطِبَتْ حَلْبِييْهَا مَنْدَهشَةً مِنْ كَلَامِهِ ، فَقَالَ مَنْدَهشًا :

- أَلَيْبَاقُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ شَيْءٍ مُنَاطِقِيًّا ! أَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَعْمَلَ
الْخُطُوطَ الَّتِي وَضَعْنَاهَا لِأَنفُسِنَا - كُنْتَ لِحَتَّائِكَ إِلَى جَوَارِي ..
اِسْتَقْتِ إِلَىكَ وَلِحَتَّائِكَ بِجَوَارِي - تَحْمِيْنِي مِنْ نَفْسِي .. مِنْ
ضَعْفِي .

بَدَأَتْ الدَّمُوعُ تَلْمَعُ فِي عَيْنَيْهِ ، وَلَخَّتْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ
الْكَلِمَاتِ الْآخِرَةَ - شَعِرْتُ بِضَيْقٍ فِي صَدْرِي ، وَأَلَمٍ
قَوِي .. كَانَتْ أَنْ تَقْبَلَ كَلَامَهُ ، وَلَكِنَّهَا انْتَزَعَتْ نَفْسَهَا
مِنْ الْإِحْسَاسِ الْقَوِي بِهِ ، وَهِيَ عَاتَاهُ وَقْتَهَا ، وَمَا يَعْتَبِرُهُ
الْآنَ ، فَقَالَتْ :

- لَجَعَلُ اللَّذْبِ نَتَبِي .. هَيْئًا .. لِقَلْبِ الْأُمُور - إِنَّهُ قَاتِلَا
السَّبَبِ .

- أَنَا لَا أَقُولُ ذَلِكَ .. لَكِنَّكَ رَفَضْتَنِي .

نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي اسْتِكَارٍ .. فَهُوَ يَعْرِفُ ، وَمَتَأَكَّدُ أَنَّهَا
لَمْ تَرْفُضْهُ هُوَ .. فَقَطْرُ رَفَضَتْ الْفَرَاخَ لِلْمَتَمَرِّعِ .. فَأَكْمَلَ
كَلَامَهُ ، قَلْبًا :

- رِيحًا كَانَ مَعَكَ حَقٌّ .. بَلْ إِنْ مَعَكَ حَقًّا فَعَلًا بِخَاصَّةٍ
وَأَنْتَ لَمْ تَدْرِكْ مَا كُنْتُ فِيهِ .. لَكِنْ عَلَى الْأَكْلِ انْظُرْ لِلْأُمُورِ
مِنْ وَجْهَةٍ لِتَنْظُرَ تِلْكَ .. بَأَنَّ الظُّرُوفَ تَجْمَعُ ضِدِّي ، لَمْ يَكُنْ
بِإِمْكَانِي الْبَقَاءَ هُنَا ، وَتَرَكْتُ الْكَافْتِيرِيَا .. نَعَمْ .. هِيَ لَا تَحْتَاجُنِي
عَلَى مَذَارِ السَّاعَةِ ، لَكِنَّهَا تَحْتَاجُنِي لِمَتَابَعَتِهَا بِاسْتِمْرَارٍ .
أَطْرَقَ قَلِيلًا ، ثُمَّ أَكْمَلَ مَتْنَهُذَا .

- لَمْ أَسْتَطِعِ الزَّوْاجَ بِكَ ، وَلَا إِحْضَارَكَ لِلْفَرْدَقَةِ ، وَلَوْ فِي
نَزْهَةٍ لِبُضْعِ أَسَابِيحٍ ، كُلُّ هَذَا كَانَ مَرْفُوضًا مِنْكَ .. وَمِنْ
الْعَائِلَةِ ، وَمِنْ التَّقَالِيدِ .. وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ كَانَ هُنَاكَ فِي
الْفَرْدَقَةِ مَعَ (كَرِين) ، كُلُّ شَيْءٍ مُمَكِّنٌ وَكَثِيرٌ .. وَبِالْحَسَابِ ..
لَوْ أَرَدْتُ .. لَوْ أَشْرْتُ .

قَامَتْ (وَنَامَ) وَتَرَكَتْهُ ..

خَرَجَتْ مِنَ الصَّالُونِ ، وَدَخَلَتْ حَجَرَتَهَا عَلَى الْفُورِ دُونَ
أَنْ تَنْطِقَ أَى كَلِمَةً . أَوْ تَسْمَحَ لَهُ يَقُولَ كَلِمَةً إِضَافِيَّةً .

لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهَا سَمَاعَ كَلِمَةٍ أُخْرَى مِنْهُ لَوْ رَوَيْتَهُ ، شَعِرَتْ
أَنَّهَا أَهْلَاهَا ، جَعَلَهَا رَخِيصَةً مُجَرَّدَ شَيْءٍ يُمْكِنُ اسْتِئْذَانُهُ ،
أَوْ الْاسْتِعَاضَةُ عَنْهُ بِآخَرٍ .

مُجَرَّدَ شَيْءٍ فِي حَيْلَتِهِ ..

جلس (يوسف) قليلاً ليتمالك نفسه ، ثم قام وانصرف ..

كان قاسياً عليها ، وهو يعلم ذلك ..

كل ما تمناه أن تسمح له بأن يلقى ولو مرة واحدة ..
مرة أخرى .. هذا كل ما يطلبه - لو أن له حقاً في طلب أى
شيء بالمرة .

* * *



٤- الهذيان ..

تسأل (يوسف) ماذا يفعل ؟ كان مبعداً ذهبه إليها
يقترّب .. هل يذهب على الفور أم يتصل يسألها ؟ هل
يضعها أمام الأمر الواقع فتجده أمامها ! وماذا لو صرفته
أو اعتبرته يفرض نفسه عليها ، ورفضت سماعه تماماً ؟

فى الحقيقة صممت (ونام) من بداية قبولها لسماعه أن
تسمعه للنهائية ، لآخر كلمة لديه يقولها ، طالما قبلت طلبه
وأعطته كلمتها .. كان هذا قرارها وقد احترمه ولدها
ووالدتها ، كما احترما رفضها لسماعه أول الأمر بخاصة مع
انهيارها وقتها .. لكن (ونام) اكتشفت أنها لم تعد على
تصميمها بسماعه والحفاظ على كلمتها معه .. ليس من
حقه أى شيء .. أى شيء .. ردت فى نفسها بألم ،
وما زالت آخر كلماته عن (كارين) ترن فى أذنيها ..

عندما أخبرتها أنها لن (يوسف) على الهاتف طلبت منها أن
تخبره بأنها مشغولة الآن ، وستعود الاتصال به فيما بعد ..
ذهبت لها ، وجلست بجوارها بعد أن نغمت طلبها ، وسألتها :

- ماذا حدث يا بنتي .. هل غيّرت رأيك ؟

- أعتقد أنني لن أحتمل .

- لماذا ؟ (يوسف) برغم كل شيء إنسان طيّب .. وكفى
أنه باقى عليك ، ولم يمتس بعد كل هذا الوقت .. أليس هذا
دليل كافٍ على حبه ؟

- حبه ؟؟

- نعم حبه .. جاء واعتذر مرةً واثنين وثلاثة .. أنك
نادماً ، ماذا تريدون أكثر من ذلك ؟

- لم أره نادماً بما فيه الكفاية .

- لماذا ؟ إنها مجرد أجنبية ، كما أنه على الأقل تزوجها ..

- ماذا تعنين بأنها أجنبية ألا تحسب الزيجة ؟

- ليس كزواجه من مصرية .. إنها إنسانة غريبة عن
مجتمعا وتقاليدنا ، ولا بد أنها قد اجتذبت بطرق ملتوية .

- وماذا لو لم يكن تزوجها ، ويكذب !

- وإن كان .. فما المشكلة ؟

- المشكلة .. أمي .. أنا لا أصدق .. إنها خطيلة .

***** ٦٨ *****

حشنتها أمها بلهجة للرجاء :

- إنه رجل لا شيء يعيه .

- رجل ؟! أى مسموح له بمعصية الله ؟

- دعنا من هذا الجدل .. لقد تزوجها ، وأنا أصدق .. وقت
أيضاً لو قصفت .. صدق (يوسف) ، لم يكن يوماً محل شك
أجل .. ولكن هكذا كل إخلاصه لها فُتِرَ (ولم) بمرارة ، وقتت :

- خبريني يا أمي .. لو كنت أنا من فعلت هذا .. وتزوجت
أجنبياً .. ألم يكن ليحسب هذا الزواج ؟ لكان (يوسف) سيفكر
بهذه الطريقة ؟

قاطعتها أمها ، قللة :

- معاذ الله .. لا تنطق بها .

- معاذ الله ، ولا نطقها ، لأنك أنتك لم لأنى فتاة .. أصبح
الحلال والحرام مختلفاً عن الصواب والخطأ ، وكل شيء
معيان .. فتاة .. حرام وخطأ ، وشاب .. حرام ولكن ليس
خطأ ، فهو رجل .. وتقديرات أخرى كثيرة لا تفهم .

- (ولم) ، حبيبتي .. لقد تزوجها .. وهي مجرد أجنبية ،
تزوجها على سنة الله ورسوله ولفترة قصيرة ، ثم أفلق
لنفسه ، وطلقها .. واعترف بخطئه ، واعتذر لك بكل شكل
ممكن .. هل نقل من يخطئ .. نقاطه .. نطرده ليعود إليها .

***** ٦٩ *****

نظرت إليها (ونام) بعينين حائرتين مغبتين .. وكلمة
أمها تتردد في عقلها «يعود إليها» .. هل من الممكن
حدوث ذلك؟ تساءلت في نفسها .

يعود إليها !!

ولم لا ، وقد يتزوج غيرها ..

هل ستتحمل ذلك ؟ هل ستطبقه ؟

عادت أمها تحدثها .

- الشباب عليه ضغوط كثيرة .. وأمامه مغريات أكثر ..
لا يعقل أن نذبح كل من يخطئ ، لن يبقى أحد .

- ماذا أفعل ؟

- أنت من قرّر سماعه للنهائية .. وإعطائه فرصة ، فلماذا
تتراجعين .

كل كلمة يقولها ..

امتألت عيناها بالدموع وهي تكمل .

- كل كلمة أشعر بها سكين يغرر في صدري .. لا أطيق
سماع اسمها .. أو أى شيء عنها .. لا أريد معرفة كيف
قابلها أو لم تزوجها أو إحسانه بها .. لا أريد .

***** ٧٠ *****

- كما تحبين .. لا تسمعيه ، ويكفى هذا .

- لا أستطيع .. حقا لا أستطيع .. أريد أن أصدق أنه لم
يحبها أبداً .. إنه أحبنى أنا فقط .. إنها كانت مجرد شيء
عابر في حياته ، نزوة ، وانتهت .

فكرت في ألم .. ليس من حقها أن تتمنى لو تكون أول
إنساة في حياته ، كما سيكون هو أول إنسان في حياتها !
قالت الأم ناصحة :

- اسمعيه وأنهى الأمر إذا يابنتى .. أصلح الله حالكما ،
وهذا كما .. اجعلى قلبى بهذا ، ويطمنن عليك .

أحسّت (ونام) بأنها أثقلت على أمها .. أمها التي تعبت
معها ولها كل الفترة السابقة ، فأحبت أن تريحها ، فقالت :
- حسناً يا أمى ، سأتصل به .

رفع (يوسف) سماعة الهاتف في لهفة ، وبرغم عدم
تكلمه من اتصال (ونام) لكن كان كله أمل أن تفعل ..
لحظة سمع صوتها أيقن أنها مستماعه . وأن المسألة
مسألة وقت وحسب .. لكنها ما زالت تحبه ، فقال في لهفة :
- سأأتى حالاً .

***** ٧١ *****

لم يتركها تطلب منه القدوم ، لو لم ترده لما اتصلت .. ففكر
فى ألا يحملها عبء قول الكلمات .. لو استطاع لاتصل
هو ، وهو بالفعل منع يده بصعوبة شديدة عدة مرآت من
الإمساك بالهاتف للاتصال بها ، لعلنه بأن هذا ليس من
حقه .. وعليه أن يصبر ، أسرع (يوسف) إليها .

هذه للمرة حملت عينا لها لبسامة صغيرة وهى تستقبله ..
دخل إلى الصالون فوجدها تنتظره هناك ، حياها فأومأت له
دون كلام .. فهم رغبته فى استكمال الحكاية على الفور -
وانقبض قلبه من وجومها - أحس أنه أغرق فى التناول
عندما اعتقد أنها سامحته - إذن فلماذا تريد سماعه ؟

أيًا كانت أسبابها ، فقد استحققت فى نظره معرفة كل
شئ ، وبدأ يتذكر ما حدث وهو يحكيه ، متمنيا نسيته
بمجرد الانتهاء من سرده ، والمثل لـ (ونام) ، مع إدراكه
لصعوبة تحقيق هذه الأمنية .

عاد بعد الإجازة أكثر ضعفاً وأكثر رهافة .. إجازة لم
يترك نفسه ليستمتع بها ، نزلها لهدف واحد ، ولما لم
يتحقق ، عاد على الفور ..

***** ٧٢ *****

عندما رآته (كارين) أول مرة بعد عولته ، جرت نحوه
فرحة بقومته محاولة احتضنه ففرد ذراعيه ، وصدها بلطف ،
تاركا مسافة بينه وبينها ، وهو يرحب بها ، فمدت رأسها
وقبلته على خده قبلة بسيطة ، بلقاء مست شفتيها خده ، وهو
يعرف أن الأجانب يتبادلون التحية هكذا ، وكذلك يفعل
الشباب المصرى مع الأجنيبات .. لكنه لم يعتقد ذلك .. حاول
تجاهل الأمر .. « ليست أكثر من قبلة عادية ، ولاداعى
للتضخيم الأمور » .. قل لنفسه فى ضيق من قفعله لمبالغ
فيه .. ترك الكافيتريا حتى لا يرى (كارين) ، وذهب ليتمشى ..
رأى شابًا وقاه على الشاطئ يتبادلان الحديث فى رومانسية
وهيام ، ويد فشاب ملتفة فى خنان حول كتفى الفتاة وعيناها
متعلقان به ، وكأنه لاشئ آخر فى الدنيا غيرهما ..

لم يكن هذا أيضا مشهدًا غير مأوف على شواطئ الفرقة ،
وفى العادة يدير وجهه كلما رأى مشهدًا كهذا أو أكثر خصوصية ..

لكنه هذه المرة (تسمر) أمامه .. « كم عمره ؟ » تسأل ..

متى سيستطيع ادخار ثمن الثمقة مرة أخرى ؟؟

ومتى سيتزوج ؟؟

أخذته قدماء إلى الكافيتريا مرة أخرى .. تركت (كارين)
مابيديا على الفور ، واقتربت منه فى هدوء ، قائلة :

- لقد افقدتك .. ألم تفقدنى ؟

***** ٧٣ *****

كان سؤالها قد ملئ بالمشاعر ، بينما أجاب هو بجفاف
وعدم اهتمام ،

- بالطبع .

- إذن .. فلماذا تركتني سريعا ..

نظر إلى عينيها للممثلتين اهتماما ، ورد بنبرة أرق :

- ألم أعذ ؟

أمسكت يده ورفعته ، وهو يرقبها دون اعتراض ، ولحقت كفه
لكبيرة ، وأسنت خدها عليها ، ونظرت في عنيه مباشرة ، وقالت :

- (يوسف) أنا أحبك .

جفأ حلقه .. سحب يده بعيدا عنها ، لم يرد ..

فكر ماذا تريد منه ؟ وإلى أين تريد الوصول بتصريحها هذا ؟

عادت (كارين) تقترب منه ، وسألته :

- ماذا بك ؟

- لا شيء يا (كارين) أنا متعب قليلا .. سأذهب إلى منزلي الآن .

حاولت استيقاظه دون جدوى ..

استلقى على سريريه يفكر في كلمة الحب التي سمعها من
(كارين) ، ومن قبلها كل الإشارات الواضحة التي أرسلتها
تشره بمكانته لديها .. وبرغبتها فيه ..

كلمة الحب هذه لم يسمعها من (وليم) أبدا ..

كان من قبل يرى أن الحياة هو الذي يمنعها ، ولكنه في
هذه اللحظة وبعد عودته من القاهرة ، حلاما خيته في إحضار
(وليم) معه ..

رفضها له .. تسأل : هل (وليم) تحبه فعلا ؟

هل أحبته يوما .. استمرت تحبه .

ليقول أن تحبه ، وترفض القدوم معه والمعيشة معه ؟

كان غاضبا بدرجة كبيرة ، ومحبطا لأقصى درجة ،
ويريد أن يفعل شيئا .. أي شيء ..

يبقى الأرض بقدميه حتى تنكسر .. يحطم كل شيء حوله ..

تسأل : لماذا ولقت (وليم) أن يبتعد من البداية ؟ لماذا ولقت
على هزله ، وشجعت ، بينما كان الجميع ضده حتى ولده وولفته ..

إذا كنت (وليم) تحبه حقاً ، فلماذا تركته يذهب بهذه البساطة ؟

كان (يوسف) مسترسلان أن يلاحظ تفعل (وليم) بكلامه ..
كان متعبا ألا ينظر إليها ، لكنها قاطعته بحدّة ، وهي تشعر
أنها لا تستطيع السكوت للحظة أخرى :

***** ٧٥ *****

***** ٧٤ *****

- هذا بالذات ما أخذته ضدى !!!

صممت كلها لا تجد الكلام .. كنت مندهشة .. مذهولة من نظراته
الملتوية للأمور والمفصلات التي يسردها بكل بساطة ، قللة :

- وقوفى إلى جوارك ، وتفضيل أحلامك على أحلامنا معا ..
لقد قبلت أن أطيل الانتظار كي لا أشعر أو تشعر أنت أنى
حرمتك من أى فرصة .

أكملت بصوت متهدج :

- لم أكن أريد أن أكون قيداً عليك بأى صورة .. وأنت
أخذت هذا ضدى ؟!

حاول أن يتكلم .. لكنها قاطعته ، قللة :

- هل تعرف ماذا قال والدى والذى ؟ ماذا قال إخوتى ،
وصديقتى ؟ هل تعرف مقدار المعارضة التي جويته بها موافقتى
على بيعك للشقة وتأجيل زواجنا إلى أجل غير معلوم ..

نظرت إلى عينيه تواجهه ، وهى تكمل :

- سنوات العمر التي مرّت منذ خطبتنا ، وتلك التي كانت
أماناً لنقضها سوياً انتظاراً لوقوفك على قدميك ، وإخارك
للقود .. هل تعرف ثمنها بالنميمة لى ؟ كم عمرى ؟

قال ردّاً عليها :

- إننا فى مركب واحدة .

- لا .. لم تكن كذلك .. فإسنة من عمر الفتاة تحسب عليها ..

كل من حولى حضرنى ، وماذا بعد الانتظار سنة بعد الأخرى .. ثم
إذا حدث تفصال .. لم أكن أسمع لهم .. لم أصدق أننا قد
تنفصل أبداً .. وحدث الانفصال .. لاحظتها نظرت للعمر الذى
قضيته معك وفى انتظارك ..

سكنت قليلاً تنقطع أنفاسها قبل أن تكمل :

- ومع ذلك ، لم أتمنّ مثلك لو كنت لم لولف على بيع الشقة
فقد كشف الكثير .. ها أنت تقول الآن أن هذا دليلك على
أنى لم أحبك .. معك حق أن تتمنى لو كنت أنا أنانية .. كنت
تريد أن أكون أنا الطرف الأتلى ، فهذا أسهل .. أسهل من
أن تظهر أذنيك الفجة كما حدث .

- لو لم أذهب ربما كنا تزوجنا وأصبح لدينا طفل .

- لم أقترح أنا عليك الذهاب ، لقد كانت فكرتك .. ولو
كنت رفضت .. كنت مستظري على أنى حرمتك من تحقيق
أحلامك ، على أى حال إذا كان هذا رأيك ، وأن المسألة كلها
خطئى أنا لأنى وافقتك على مشروعك .. فإسفاً ، وأنا
اعتذر لك من كل قلبى .

قلت للكلمات الأخيرة بمرارة .. حزت فى قلبه . فقال :

- (ولم) ، لنا لا قصد هذا لو أعرف أن هذا غير حقيقى ،
لكن وقتها ، بخاصة بعد رفضك القدوم معى ، كان هذا
تفكيرى .. الوحدة قتلته .. الإغراءات من كل جانب
وإحساسى بالفتنة ، والحاجة إليك .

- وأنا هل كنت حجراً لا أشعر .. ألم أكن مثلك أو أكثر ؟!
فقد زاد على هذا كله إحساسى بالقلق عليك .. كيف تعيش ؟
كيف تأكل وتشرب .. هل ترتاح أم تعمل طوال الوقت ..
ابتسمت ساخرة ، وقالت :

- لم أكن أعرف أنك وجدت من تهتم بك وتشغل وقت
فراغك ولا داعى للقلق .

- أنا لا ألومك على هذا التفكير الآن .. لكن وقتها ، وأنا
هناك .. كنت الهوليس تطاردنى ، ولم تكونى موجودة لأفكر
معك .. كنت غاضباً ولا أرى .. كأنها هستيريا تلبستى .. أذكر
الأيام التى تلت عودتى جيداً كأنها حدثت بالأمس .. كنت
كالطير الذبيح ، أدور ، وهى تلتفتنى ..

* * *

لم يجد (يوسف) فى نفسه الجرأة ليحكى لـ (ونام)
عن الأسبوع التالى لرجوعه إلى الغردقة وعن محاضرة
(كارين) له واهتمامها به ، وتقربها منه ، برغم أنه

تساعل فى نفسه : هل كان باستطاعته المقاومة ؟ وأى شاب
هذا الذى لم يكن ليتأثر أو يشعر بالزهو أو الرضى .. ولو
قليلاً .. من هذه المطاردة اللذيذة .

أى الأيام كان أصعب ؟

عاد (يوسف) بذاكرته إلى دروس الغطس مع (كارين) ..
كان ثلث يوم لهما ، وقد تعلما المبادئ الأولية ، وعرفا
الغطس ، ونزلا تحت الماء ولكن بالقرب من الشاطئ وعلى
عمق صغير ، ومع ذلك فقد شاهدا أسراباً من السمك الملون
والشعاب المرجانية رائعة الجمال ..

خرج من الماء ولبلل ملابسه وأخبرها أنه مشغول ، عندما
سألته إذا كان سيعود معها إلى الكافيتريا .. لم يتبادل معها
التعليقات ، عما تعلماه وشاهداه كما اعتادا .. كان يحاول
الهروب منها ، ولا يدري إن كان سيستطيع أم لا ؟
تمشى قليلاً ليتعد عنها .. ثم قرّر السباحة ..

قل يسبح ويسبح ..

تعب ..

استند طاقته ..

غلبه الإرهاق . خرج ومشى فى هدوء إلى شقته واستلقى
لينام ..

استيقظ على رنين الهاتف .. لم يعرف كم من الوقت
مرَّ عليه ، فسحب سماعة الهاتف وهو مستلقٍ على السرير .

كفت (كارين) على الطرف الآخر ، وقد ملأ القلق صوتهما :
- هل أنت بخير ؟

- أجل .

- لماذا لم تأت للغداء ؟

استدار ونظر فى ساعته ، اكتشف أنه لم يتم سوى ساعة
ونصف .. كان الوقت قد تجاوز الساعة السابعة ، أدرك أنه
لم يتناول أى طعام طوال اليوم . فقالت (كارين) :

- (يوسف) ماذا حدث ؟

- لقد استغرقت فى النوم .

- هل أحضر طعاماً وأتى لتأكل سوياً ؟

امتلاً بالقلق ، فقال :

- لا .. لا داعى .. سأتى أنا لنفتمشى فى الكافيتريا .

- لا .. بل نذهب لمكان آخر .. مارأيك لو نذهب للديسكو ؟
« أى مكان سيفى بالفرض » .. فكر (يوسف) ، وقال :
- لا يلى .. أى شىء .

أغلق التليفون ، كان قد ذهب للديسكو مرة أو مرتين منذ
أن أتى إلى الغردقة أول مرة ، كان لديه الفضول لمشاهدة كل
شئ .. ويرى كيف يعيش الآخريين ، ولم يعجبه .. فتوقف
عن الذهاب ولم يفكر فى تكرار التجربة .

ارتدى ملابسه ، ومرت على الكافيتريا ليجدها فى انتظاره ،
وقد ارتدت فستاناً بسيطاً للسهرة ، لكنه كان تغيراً كبيراً فى
مظهرها .

شبت أصابعها فى أصابعه ، وابتمست له بحنان ، وهما
يسيران الهوينى فى اتجاه المكان .

كل نغمة فى كل أغنية سمعها دقت رأسه فى عطف ..

لم يجد للطعام أى طعم فى فمه ، ورد على كلام (كارين) فى
آنية وانضبط شديدين ، شعرا بالاختلاق من الأنواء المترقصة ،
ومن مشهد الشباب الذى يتراقص حولها .. فقال :

- (كارين) -

***** ٨١ *****

***** ٨٠ *****

كأنت تتابع للنمات ، وقد حاولت أن تجطه برقص معها ،
ولكنه رفض ، أشار إليها بأنه سيذهب ، ولكنها قالت :
.. انتظر .. سأتى معك .

خرجت معه .. لكنه لم يكن يريد لها معه ، كان يريد الانفراد
بنفسه .

.. لو ربما كان يريد شخصاً إلى جواره ..

ارتبك تفكيره .. وأحس أنه لا يطم شيئاً .

انتبهت (كارين) لانشغاله .. فتأنته :

- جو .

لم يرد عليها .. شعر بالتعب .. والإرهاق ..

وعدم الاتزان .. لم يكن لديه استعداد لفعل أى شيء حتى
مجرد الكلام ..

ولم يعجبه أن تناديه (جو) ، دون أن يهتم بإخبارها بذلك .

كانا يسيران بموازاة البحر ..

مكون للبحر للتمام إلا من تفرق المياه ، الذى لا يكاد
يلحظ جنب بصره ..

***** ٨٢ *****

لحنى عندما لحظ صخرة صغيرة مقلطحة ، وانقطعت ثم قذفها
على سطح الماء بطريقة خاصة ، جعلتها تنفجر عدة قفزات
على السطح للهادئ للمياه قبل أن تغوص فى النهاية .

وقعت الساعة من يده . وهو يفعل ذلك ، ففكر فى ألم
« هدية (ويلم) » .. فتحرك دون تكبر ، وقفز على سور
الكورنيش القصير ، لينتقل الساعة قبل أن تسقط ، وتتحطم ..
تعر وتسط على الجانب الآخر حدث الأمر بسرعة ..

أسرعت (كارين) تخطو فى حذر لتساعده .. كان ممسكاً
بجانب وجهه يشعر بألم فظيع فى رأسه ، ومرفق يده ،
وأحس بلزوجة الدماء الدافئة تحت أصابعه ، فى اليد الأخرى
كفت الساعة سليمة فى كفه ، وأسده أنها لم تتحطم ، فسألته :

- هل أنت بخير ؟

سألته (كارين) دون أن تحاول تحريكه ، خوفاً من أن يكون
هناك كسور أو إصابات داخلية ، لكنه حاول القيام على
الفور ، ف شعر بدوار وهبوط شديدين ، فأجابها :
.. أنا بخير .

لم يكن صوته ثابتاً ، فسأته على القيام وأسنته ، قائلة :

- انتظر ، سأساعدك .. لا تنفجر مرة أخرى .

***** ٨٣ *****

مشياً قليلاً قبل أن يقابلاً فتحة يخرجان منها ، فقالت :

- سأذهب بك إلى المستشفى .

- لا أريد .

قالتا وهو يهذى ، فقالت له :

- يجب أن تعالج .

- سأعود إلى منزلي .

- هل لديك إسعافات أولية حتى ؟

- أريد العودة إلى المنزل .

أركبت (كلارين) عدم اتزانها ، فقررت فعل الصواب من وجهة نظرها .

أخذته إلى حجرتها لتداويه ..

أجلسته على السرير ، ذهبت لتحضر أدوات الإسعافات الأولية .

كان الألم يصف برأسه ، ويشوش تفكيره ، وشعر بالخدر بملأ جسده ، يكاد يعجزه عن الحركة فاستلقى .

عانت إليه ، وبدأت تظهر الجرح الذي ألمه قليلاً .. ثم جففته قبل أن تدهن القليل من الكريم للعلاجي . والذي شعر به كالتلج

***** ٨٤ *****

على الجرح المسخن ، قبل أن تضع الضمادة ، وتلمص أطرافها باليلامتر الطبي ..

تركته وأعبت كل شيء مكانه ، وغسلت يديها ..

أحضرت زجاجة عصير ، وجلست بجواره ، وأسندت رأسه بلطف على ذراعها ، وسقته القليل من العصير .

بدأ يستجمع أفكاره .

قال بصوت واهن .. ضعيف :

- (كلارين) .

- نعم .

- هذا ليس منزلي .

- إتينا في حجرتي .

بلل شفتيه السفلى الجافة بطرف لسانه ، قبل أن يقول في عدم تركيز :

- هذا خطأ .

- ولم ؟

لم يكن في حالة تسمح بالمجادلة ، أغلق عينيه ، وتنفس في عمق .

***** ٨٥ *****

- (كارين) .. خذيني إلى منزلي .. أرجوك .

لم ترد الإلحاح عليه ، وقالت :

- كما تحب .

ساعدته ليجلس على السرير مرة أخرى ، وجلست إلى جواره ، وأخذت ذراعه ليستند على كتفها ، ولمسكت بطرف يده ، بينما نفت ذراعها الأخرى وراء ظهره .

نبهته لمساعدتها في القيام .

التقطت حقيبتها ، وأغلقت باب للحجرة وراءها دون أن تأبه لإحكام غلقه بالمفتاح .

مشت في خطوات وثيدة وهي تسنده ، ومساعدتها في تلك أن قامتها كانت أكبر قليلاً منه ، وصلا إلى منزله بعد وقت ليس بالقصير .

سألته (كارين) ، وهي تلهث قليلاً :

- أين المفتاح ؟

- معي ..

لم تبدر منه أي حركة لإخراجها ، فقللت :

- أين بالضبط ؟

مذ يده في جيبه الأيمن فلم يجد شيئاً ، وتحسّس جيب - (للتي شيرت) - الذي يرتديه ، وعاد يكرر :

- للمفتاح معي .

جعلته (كارين) يعتدل ليستند إلى الحائط في هدوء بجوار الباب ، ومثت يدها تبحث في جيبه الآخر ، ووجدت للمفتاح .

أستندته بطرف يدها ، ومثت يديها الأخرى لتفتح الباب في سهولة .. علقت تسنده لتدخله وقد نسيت المفتاح في ثقب الباب .

كان المنزل بسيطاً ، مكوناً من صالة واسعة ، وحجرة واحدة ، بالإضافة للحمام والمطبخ الصغيرين .

أدخلته (كارين) إلى حجرة النوم ، وأجلسته على السرير بأكثر هدوء ممكن ..

أغمض عينه على الفور ، وهو يشعر أن السرير يتحرك من تحته ، رفعت قدميه ، وخلعت الصندل الذي كان يرتديه ، لاحظت أن كفه لا يزال ممسكة بالساعة .. حاولت سحبها من كفه ، قاوم قليلاً ، ولكنها استطاعت فك قبضته

ببساطة بسبب التعب الذى غلبه ، وتناولت الساعة ، وألقيت
بها بحرص فى درج (الكومدينو) الموجود قرب السرير ،
وأغلقتها فى هدوء ، وقالت :
- (يوسف) أنا خائفة من أن يكون لديك ارتجاج بالمخ .
- ماذا ؟

لم يكن قد سمع هذا المصطلح بالإنجليزية من قبل ،
فشرحت له حتى فهم ما تعنيه بصعوبة ، ثم قال :
- لا توجد مشكلة .

قالت بلا اهتمام ، لكنها ردت عليه فى لهفة :
- (يوسف) .. إذا كان لديك ارتجاج بالمخ ، يجب أن
تظل مستيقظاً .. لا تنام أرجوك .

- كيف ؟

- افتح عينيك .

كان هذا صعباً ، ومع ذلك حاول .. ولكنها قالت :

- حدثنى .

- عن أى شيء ؟

***** ٨٨ *****

- عن نفسك .

حرك رأسه ببطء ، ومد لسانه يبلل شفته السفلى .

- لا أعرف .. حدثنى أنت .

شعر بصعوبة فى أن يتحدث أو يركز فى أى شيء ، فقالت :

- وماذا لو نمت وأنا أحدثك ؟

- أنا شبه نائم .

وأدركت (كارين) ذلك ، فقالت :

- يجب أن تظل عينك مفتوحتين .

ابتسم قليلاً ، وقال :

- قد أنام وعينائى مفتوحتان .

ابتسمت (كارين) .

سكنت قليلاً لتفكر ، ثم قالت :

- انتظر .

اعتذلت فى جلستها لترفع ساقها على السرير ، وتكورها
تحته ، وتستند بمرقها على الوسادة .

***** ٨٩ *****

- سألته في أي شيء تحبه .. هل أضحى لك قصة .

كان يشعر بحرارة تسرى في جسده ، ففكر أول ما فكر فيه :

- حدثيني عن الثلج .

- تريد سماع قصة بيضاء الثلج (سنو وايت) .

- لا حدثيني عن الثلج .

كان هذا آخر شيء يذكره هذه الليلة .



٥- آخر الحكاية ..

استيقظ (يوسف) ليجد (كارين) نائمة إلى جواره ، قام
منتفضاً ، وصرخ مندهشاً :

- (كارين) .

قامت في هدوء ، وابتسمت له ، وقالت :

- أنت بخير .

- ما هذا الذي فعلته ؟

سألته في قدهاش :

- ماذا فعلت ؟؟

- لقد نمت إلى جوارى .

- أجل .. لقد غلبني النوم من كثرة التعب .

- لكن هذا لا يصح .

- لماذا ؟؟

- ماذا سيقول الناس عني ؟ في مجتمعنا هذا خطأ .

- لکنک کنت مریضاً .. تحتاج لى بجوارک .

کانت تتکلم کما لو کان هذا هو المنطق ، وما عداہ
جنون .. ولكنه قال :

- (کارین) .. لا یصح أن تبیتى فى منزلى لأى سبب .

- أبداً .

- (لا لو کنت زوجتى .

- ألا یکفى أن تكون صديقى (My boy friend) .

- لا یوجد شىء کهذا عندنا .

- لکنى معجبة بک جداً ، وأود مصادقتک .

کان قد وقف ، وابتعد عن السریر ، مشى هى بרכبتها
على السریر ، واقتربت منه ، فقال :

- بالطريقة التى تقصدينها لا .. هذا هو الحرام فى
دینى .

- وما هو التصرف الصحیح .

- الزواج ..

***** ٩٢ *****

- إذا کن هذا ما تريده .. فلنتزوج .

کانت تتحدث ببساطة أمسکت يده ، سحب يده ، وقال :

- لکن (کارین) .. لا أستطيع .

- ولم؟؟

- أنا مرتبط .. خاطب .

- وأين هى ؟

- فى القاهرة .

- ولماذا ليست هنا ؟

- أنا فى البداية کنت أعيش هناك .. كما أنها تريد الحياة
فى القاهرة .

- وعملک ! أستبقى أنت هنا وهى هناك .

- لا أعرف .. لقد رفضت المجيء .

- وهل ستذهب لتعيش معها هناك .

- لا .

- إذن؟؟

- إذن ماذا ؟

***** ٩٣ *****

- ستظل هكذا إلى باقى حياتك ؟ مرتبط دون أن تلتى هى للحياة ، معك أو تذهب أنت للحياة معها .

نظر (يوسف) إلى (ولم) فى حزن ، كالت تبدو مرهقة ، ووجد أنه يكفيها ما قصه من تفاصيل وقرر أن ينهى القصة .

« ربما هى لم ترد الزواج منى ..

ربما أرادت مغامرة ..

ربما أعجبها أنى لم أطاردها .. لا أعرف شيء ..

لما لم أدع أنى (دون جون) ، ولا كالت هى ملكة جمال ..

كالت محبباً ، وهى أكثر من راغبة فى

توقفت عن المقاومة ، وتزوجتها ..

أو ربما هى التى تزوجتنى ..

لا أدري لم تزوجتنى .

وبماذا خدعت نفسى وقتها ، لأترك نفسى تجرف فى هذه الزيجة .

سرت وراء (كارين) .. تزوجتها بدافع الحاجة ..

أو بأى دافع آخر ..

أيًا كالت الأسباب التى دفعتنى للزواج منها ، فلم يكن فيها سبب وحيد صحيح ، سوى رغبتى فى ألا أغضب قلله ..

وافقت سريعاً على أن أتزوج إنسانة لا أحبها ، بشروطها هى ..

هى وحدها .

كيف مرّت حياته مع (كارين) فى هذه الفترة القصيرة التى جمعهما سوياً دروس غطس وسهرات ، حياة بنت له حافلة وفارغة فى الوقت ذاته ، حياة لا تنسبه ، كان هناك بعض الزوجات الأجنبية يساعدن أولادهن فى أعمالهم .. لكنه لم يحاول تشجيع (كارين) على هذا ، وبنت هى ، وكأنها معه اليوم بيومه دون غد ، ولا أمس ، دون ماضى أو مستقبل .. لماذا شعر بحياته هذه فترة ، بأن تصرفاتها مبالغ فيها ؟

لكنه تقبلها .. كان هذا اختياره « لقد اختار أن يتزوجها ، وعليه تحمل مسؤولية هذا الاختيار ، أيًا كانت عواقبه ..

شعر أنه لا يوجد خط رجعة ، فلا يعقل أن ينفصل عنها ، بعدما أنصاع (ولم) من أجلها .. نعم هذه حياته ، وهكذا سسير حتى النهاية ، وعليه تقبلها ، على الأقل هذا ما اعتقده وقتها .

تذكر (يوسف) نهاية قصته مع (كارين) بوضوح تام ،
ولم يكن قد مرَّ شهر كامل على زواجهما ، عندما فوجئ بها
تلملم ملابسها داخل حقيبتها ، فسألها :

- إلى أين ؟!

- ميعاد سفرى .. كما تعلم .

- لا أفهم ؟!

- الإجازة انتهت ، وأنا ما زلت أدرس .

- لكنى لا أريدك أن تسافرى .

- هذا لا يغير شيء .

- أنت زوجتى ؟!!!!

ضايقه تصرفها ، وتجاهلها لحقيقة مسئوليته عنها ،
ومسئوليتها أمامه ، فقالت له :

- أنت أردت أن نتزوج ، ولهذا تزوجتك .. لكن ..

لم تكمل كلامها .. فسألها :

- لكن ماذا ؟!

- لكن أنت بالنسبة لى صديق .. لقد كانت أسعد إجازة
قضيتها فى حياتى .

- إجازة .

حرك رأسه ساخرًا ، وقال :

- وجودى فى حياتك إجازة !

- أنا لم أخدعك بأكثر مما خدعت أنت نفسك .

- أنا خدعت نفسى !!!

- أنت لم تحبنى أبدًا ..

حاول أن يتكلم ، فقاطعه :

- لا تعارض .. ربما لو كنت أحببتنى لاختلف الأمر .

لم يستطع أن يصرَّ على بقائها ، وأن يقول أنه يحبها ..
من كان سيخدع .. ولكنه لم يتخيل للحظة أنها تعرف
بنك .. بأن مشاعره مع أخرى قد تكون الآن تكرهه .

اتجهت للباب ، فاستوقفتها ، قائلًا :

- وماذا لو كنت حامل ؟

فكَّر فى فزع من احتمال أن تكون (كارين) هى أم
أطفاله التى تربيهما ، وتعلمهم .. فقالت :

- لا تقلق ، أخذت احتياطاتى من البداية .

فوجئ بما قالته ، فقال :

- هكذا دون أن تستشيريني .

- كنت أعرف أنك قد لا تتركني أذهب لو أن بيننا طفل ..
لو ربما كنت ستأخذني مني .. هذا أسهل كثيراً .

فكر في ألم .. إن آخر شيء يريده هو أن يكون له طفل
منها ، فقال لها :

- من البداية وأنت تخططين لهذا .. من البداية وأنت
تعرفين أن الموضوع بضعة أسابيع .. إذن لماذا قلت أنك
تحبيني ؟

- لقد أحببتك ولم أصدقك .. ربما خدعت نفسي ، عندما
ظننت أن حبي وحده يكفي لإقامة علاقة ناجحة .. ربما لو
أحببتني قليلاً ..

حركت رأسها ، وقالت :

- إلى اللقاء .. سأتى ثانية ، وسنلتقى .

- بل وداعاً .. لن نلتقى ثانية .

كان هذا آخر ما يستطيع (يوسف) أن يقصه من حكايته ..
سكت قليلاً .. لكن (وليام) لم تنطق ، انتظرت أن ينهي كل
ما لديه .

***** ٩٨ *****

«تركتني وأنا أشعر بفداحة ما حدث ..

هذا الموضوع لم يكن بلا ثمن ..

لا .. لم يكن زواجاً بلا ثمن ..

بل كان باهظ الثمن .. سرق مني لأعلى شيء في حياتي ..

سرقك قمت ، جعلني أشعر بأنى ملوث .. أنا لم أكن فخوراً
بما فعلت ..

صدقيني ..

طلقتها وجنت .. وأخبرتك .

لذلك لم تستمع لي .. كان بإمكانى أن أخفي الأمر ، وأكره ..

أكان هذا الفضل ؟ !

رنت عليه بسخرية :

- مسكين ..

سكنت تستمتع أفكارها « قبل أن تكمل ساخرة :

- أهاذا ما تريد .. أن أقول الآن ، حقاً أنا أشفق عليك ..

أنت لم تخن ، وهى استدرجتك ، وتزوجتك ، وعندما أفقت
بعد شهر العسل ، وقد تركتك ، طلقها .. أليس كذلك ؟؟

- لقد تزوجتها .. وأخبرتك بالحقيقة .

- وأخبرتني .. تزوجتها وأخبرتني .

***** ٩٩ *****

أعلنت الكلام بثورة علماة :

- ولم تطلقهما كقهما عذران أو سببان لأسامحك .. قهما
خنجران طعنت بهما قلبي ، مزقته إلى أشلاء .

- كنت وحدي -

لم تدعه يكمل حديثه ، قاتلة :

- وكل مرة سأتركك وحدا ، ستزوج وتخبرني ، وتطلب
منى أن أسامحك .. ولم أسامحك ، وأنت لا تظن نفسك قد
أخطأت أصلاً .

- هذا غير صحيح .. أنا لم أرتكب معصية .

- وخياتك لي .. كيف أتى بك بعد ذلك .. أين احتراسي
وتقديري لك ؟

تدافعت الدموع إلى عينيها ، وأجهشت في بكاء هستيري
وارتتش جسدها ، بل ارتج من كثرة البكاء .

مذ يده يحاول تهدئتها ، فأردفت قاتلة :

- أتركني .. أتركني .. وحدي من فضلك .

قالتها من بين شهقات البكاء .. ولكنه رد عليها قاتلاً :

***** ١٠٠ *****

- سأكتسب ثقتك مرة أخرى .. صدقيني .. أعطيني فرصة ،
وسأكتسبها مرة أخرى .. اعتبريني أتقدم لك من البداية ،
وضعي تحت الاختبار .

دأت قليلاً على الأكل في الظاهر ، وهي تقول :

« (يوسف) - لا ..

إلا (يوسف) ..

(يوسف) ملاك ..

(يوسف) كانت أمامه الأجنيبات من قبل في الغرفة ، بل
والمصريات أيضاً ..

هنا وهناك ، ومنهن من هي أجمل من أي أجنبية .. »

- هذا ما رددت به على كل من خذرنى من بققك هناك ..
ولم أخبرك حتى .. دافعت عنك ..

لم تستطع منع اللوم من أن يصعد إلى عينيها ، وهي تكمل :

- كنت ثقتي فيك عمياء .. كنت في نظري ملاكاً .

- أنا مجرد بشر عادى .. لا ملاك ولا نبي .. لحم ودم ..
لدئ مشاعر ورغبات .. هذا قدرى أرجوك .

***** ١٠١ *****

- أنت بشر ! وأنا جماد ؟ أنت هناك معرض للمفريات ،
وأنا هنا راهبة في دير لا تختلط ببشر .

- أنت ؟؟

ذهل لما يعنيه كلامها ، وقد أشعلت الفيرة فيه ، وملأت
الحمية عروقه ، ولكنها قالت :

- نعم أنا .. أم تظن أن أحداً إن يحاول للتقرب مني ،
أو يطلبني للزواج .

- وأنت مخطوبة ؟

ابتسمت ساخرة ، وقالت :

- لم أر أن الخطوبة قد منعتك من شيء لتمتع غيرك ..
أم أن الخطوبة منعتك ، وأنا لا أدرى وتزوجتها ، وأنت مبقى
على خطوبتنا ومخلص لها .. تصدق لا بد أنك فعلت ..
ما التعارض بين أن تتزوج وأن تظل مخلصاً لي ؟

لم يعهدها مريرة أو ساخرة هكذا .. حاول معها قليلاً :

- ألا يشفع لي ويزيد من ثقتك ، أن في السننتين المنضيتين ..
لم أفكر سوى فيك ، وفي عملي .

***** ١٠٢ *****

- ومن أين لي أن أصدقك ؟

- (ونلم) ؟!!

قلتها بتمزق آلمه مقدار عدم ثقتها به :

- تعالى وسألي عني إذا لم تصدقني كل من في الغردقة
سيخبرونك .. يكفيما ما مضى .. يكفيما الآلام والجراح ..
يكفيما أحلى سنوات عمرنا التي ذهبت .. ساستعيد ثقتك .

قلتها بتصميم ، وعزيمة أثرت فيها ، وأكمل :

- وسأعوضك عن كل هذه السنين ، وربي سأعوضك .

أشارت إلى حقيبة النقود التي ما زالت في مكتبها
بالصندوق ، كما تركها يوم أن أعطاها لها ، وقالت :

- بماذا .. بهذه ؟

- لا .. ليس بالنقود .. النقود كانت محاولة لأراك مرة
أخرى ..

النقود هي آخر شيء فكر فيه ، أراد أن يفهمها هذا ، فقال :

- هي مجرد حجة أمامك أو أمام نفسي ، لأحاول معك مرة
أخرى ، بعد أن رفضتني مرأت ومرأت .. عودي لي ،

***** ١٠٣ *****

ومأعوضك بحبي لك .. سأكرس نفسي لإسعادك وبناء
أسرتنا .. أريد أن تحملني طفالي ، وتربيهم ، وأن تكوني
زوجتي ، وأنيسي ، في الدنيا والآخرة .

سكت قليلاً ليرى تأثير كلامه عليها ، كان هناك تجاوباً ما
تحاول أن تخفيه جاهدة .. لكنه لاحظته .. وكان يعرف من
البداية أنه موجود ، ثم أكمل :

- لا أصدق أن حبك لي قد ذهب .

- حبي ؟ ألم تكن تقول منذ قليل أنني لم أكن أحبك .

- كانت غمامة على عيني وذهبت ، كان هاجساً قد تملكني
في لحظات مريرة مرّت عليّ ، وجعلتني أعمى عن حقيقة حبك
وثقتك بي .. وإيثارك لي .. عن حقيقة إيمانك بي .. لا يمكن
أن يكون كل هذا قد ذهب .

لم يخبرها أن دليل ذلك أنها لم تتسمه ، وأنها لم تقبل
أيّاً ممن تقدموا لها من بعده ، كان يتتبع أخبارها ،
ويتمنى لو تعود له .. كانت فكرة زواجها بآخر ستقضى
عليه ..

سألته في تردد :

- (كارين) ؟

- صدّقيني انتهت .. إنها لم تكن موجوده أصلاً .. لقد
عادت .

نظرت إليه مندهشة وقد فاجأها ما قاله ، فأكمل :

- نعم عادت ، لكنني لم أنظر لها مرتين ، ولا أتوى تكرار
الخطأ .. لقد مسحها هي وغيرها من حياتي .. (ولام) ..
أعطني فرصة لأثبت لك حبي ، وأبين أن ما حدث كان مجرد
كبوّة وقد دفعت ثمنها غالياً .

نظرت له (ونام) .. كان يبدو صادقاً في كل ما قاله ..
لم تكن تريد أن تدخ نفسك .. ما زالت تحبه .

تزوج أو لا .

ما زال قلبها ينخطف كلما رآته .

أنفاسها تنقل وحلقها يجف ..

كل حركة .

أقل حركة يقوم بها تؤثر فيها .. وصوته يعذبها ..

كم اشتاقت إلى أن تسمع صوته مرة ثلثية .

لا شيء يغذل عندها عودة المشاعر الحلوة بينهما ..

مشاعرها كما هي .. بل ولعلها زادت اشتعالاً فترة
فراقه .

وكل شيء حولها يخبرها بأنها يحبها كالسابق ، وأكثر .

لكن .. لكن الاحترام ؟ والثقة ؟

هل تأمنه على نفسها ؟

هل تستطيع الثقة فيه ؟

ماذا يقول قلبها لها ؟

وماذا يقول عقلها ؟

أرادت من كل قلبها حدوث هذا ، احتاجته ليدلوي
جراحها ، فقد فشلت وحدها في مدلولاتها ..

***** ١٠٦ *****

فشلت في إيجاد السعادة وحدها .. في إيجاد الاستقرار ،
والأمان .

ظن أنها ستتقلب على مشاعرها نحوه بمرور الوقت ،
ويكفيها التفكير في خيائته لها ؛ نكرهه ، أو للتساه وتستمر
في حياتها .

لكن كل هذا لم يحدث .. ما حدث في الحقيقة هو أن
غضبها ذهب ..

كل مشاعرها السلبية تجاهه ذهبت ...

وبقي حبها له ..

وتطيقها به ..

بقيت سنوات الحب ..

تتهنت (ونام) في عني ، وأغضت عينيها .

شعرت أن المشاعر التي تملأ صدرها تفيض عنه .

هل تسامحه ؟!

***** ١٠٧ *****

سؤال بلامضى ، لكنها سامحته بالفعل ومن وقت طويل ..

السؤال هو .. هل تخبره بذلك وتعود إليه ؟

هل تعود إليه ؟

هذا هو للسؤال الحقيقي ..

وعليها وحدها إيجاد إجابته .

[تمت]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-----------------------|------------------------|-----------------------|
| 1 - من أجلك . | 34 - هذا الرجل . | 67 - جراح الماضي . |
| 2 - لا تقل وداعاً . | 35 - التقينا من جديد . | 68 - حبيبتي الوحيدة . |
| 3 - قلوب لا تنبش . | 36 - نسمة الصباح . | 69 - آلام الحب . |
| 4 - الدموع الباردة . | 37 - إن أعود . | 70 - كفانا عناداً . |
| 5 - هي في حياتي . | 38 - الشريكان . | 71 - رجل أحبيته . |
| 6 - يا قلب لا تفتر . | 39 - أنت قدرى . | 72 - ذبح الحب . |
| 7 - النبع الجاف . | 40 - بلا أمل . | 73 - مشاعر دافئة . |
| 8 - طيور بلا أجنحة . | 41 - أحلام ضائعة . | 74 - أشواك الحب . |
| 9 - رسالة حب . | 42 - أبس الحبيب . | 75 - لن أبكى . |
| 10 - لعبة القدر . | 43 - العاجز . | 76 - قلوب حائرة . |
| 11 - الصفوف الجروح . | 44 - لن أسالك . | 77 - وداعاً للأبد . |
| 12 - لشجار الحب . | 45 - ستبقى في قلبي . | 78 - فتاة جميلة . |
| 13 - رحلة قلب . | 46 - أحبيتك في صمت . | 79 - قسوة وفقران . |
| 14 - شمس الليل . | 47 - رجل وقلبان . | 80 - ليس من أجلي . |
| 15 - الحب بلا أرقام . | 48 - الحب الجريح . | 81 - صحابة سيف . |
| 16 - لقاء الحب . | 49 - الحب والاختيار . | 82 - زهرة بريّة . |
| 17 - المرأة السوداء . | 50 - وابستمت الحياة . | 83 - زهرتي الجميلة . |
| 18 - حب وكراهية . | 51 - اللقاء الأخير . | 84 - ابتسامة القدر . |
| 19 - وداع الجليل . | 52 - عودة الغائب . | 85 - لعبة الزمن . |
| 20 - حب وسط النيران . | 53 - أمواج الحب . | 86 - شاطئ الأمان . |
| 21 - دموع كديويد . | 54 - معك دائماً . | 87 - فجر جديد . |
| 22 - أوهام الحب . | 55 - اغفر لي . | 88 - حب وعمران . |
| 23 - نداء قلبي . | 56 - لقاء في القروب . | 89 - ليل ولها . |
| 24 - حذار من الحب . | 57 - جدار الماضي . | 90 - سالتظرك دائماً . |
| 25 - النوء . | 58 - لأنى أحبك . | 91 - بعد الانتظار . |
| 26 - وداعاً يا حبي . | 59 - الأميرة . | 92 - حب بلا موعد . |
| 27 - حبي المذهب . | 60 - مرحباً يا الحب . | 93 - زواج العمر . |
| 28 - لك قلبي . | 61 - شجرة لا تنطفئ . | 94 - القرار الصعب . |
| 29 - الحلم . | 62 - لا ترحلى . | 95 - معنى السكوت . |
| 30 - زوجي . | 63 - نسمة حب . | 96 - يارا . |
| 31 - الحب والمصحة . | 64 - الصديقتان . | 97 - اغفر يا قلب . |
| 32 - وداعاً للماضي . | 65 - الوجه الدميم . | |
| 33 - طائر ضريب . | 66 - خفقات قلب . | |



منى منصور

السلسلة الوحيدة التي لا يجد القلوب
أو القلوب حرجاً من وجودها بالمثل

اغفر ياقلب

احب (يوسف) (وثام) واحبته ..
وكانت على استعداد لان تضحي من اجله
بكل شيء ..
عندما تركها اذهارت ..
وعندما عاد تساعلت ..
هل يغفر الحب ؟

97

تأليف وكتابة
المؤسسة العربية الحديثة
جميع الحقوق محفوظة
1430 هـ - 1431 هـ

الثنى في مصر ٢٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

